



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات  
Arab Center for Research & Policy Studies

دراسات | 23 أيلول/ سبتمبر، 2021

# العلاقات الإيرانية - الروسية خلال الأزمة السورية

أكثر من علاقة براغماتية وأقل من تحالف استراتيجي

رنا باروت

رنا باروت

طالبة في برنامج الدراسات الأمنية في معهد الدوحة للدراسات العليا.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2021

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعائن، قطر

هاتف: + 974 40354111

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

# المحتويات

1	مقدمة
3	أولاً: العلاقات الإيرانية - الروسية: توطئة تاريخية
4	ثانياً: التقارب الإيراني - الروسي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي
8	ثالثاً: التقارب الإيراني - الروسي خلال الأزمة السورية
9	1. الاستراتيجية الروسية
11	2. الاستراتيجية الإيرانية
11	3. أوجه الالتقاء والاختلاف بين روسيا وإيران في سورية
19	خاتمة
20	المراجع

## مقدمة

تأثرت سورية بموجة الاحتجاجات الواسعة التي عمّت أكثر من بلد عربي، وعُرفت يومئذ بـ «ثورات الربيع العربي». واندلعت أحداث الثورة السورية في آذار/ مارس 2011 في هذا السياق، نتاجاً لعوامل معقدة ومتراكمة، كان من أبرزها الظروف الاستثنائية التي أُخضع لها الشعب السوري خلال سنين طوال تحت وطأة حالة الطوارئ التي أعلنتها النظام السوري منذ انقلاب 8 آذار/ مارس 1963، واستغلّها في اختراق المجتمع على نحو غير مسبوق، وفرض عملية أمنة شاملة ورقابة داخلية مشدّدة على قطاعات الحياة الاقتصادية - الاجتماعية وأنشطتها كلها. وبدأت في آذار/ مارس 2011 حركات احتجاجية مدنية سلمية عدة، انطلقت شراراتها الأولى من المحافظات الجنوبية، وفي مدينة درعا تحديداً، ردّاً على الممارسات التعسّفية التي مارسها جهاز الأمن السياسي تجاه مجموعة أطفال اتُّهموا بتدوين عبارات عدائية على بعض جدران المدينة تتعلق بالرئيس بشار الأسد. وسرعان ما انتشرت الاحتجاجات في أرجاء سورية، لتشمل يوماً بعد يوم معظم المحافظات، فجاء رد الأجهزة الأمنية السورية من خلال حملة اعتقالات واسعة واستخدام مكثف للعنف المفرط وإطلاق الرصاص الحي ضد المتظاهرين المدنيين السلميين، وتسليط ما عرف بـ «الشبيحة» عليهم، وصولاً إلى التصفيات الجسدية في العديد من الحالات، ما دفع بعض المحتجين إلى حمل السلاح دفاعاً عن النفس، وكان معظمه في البداية من نوع بنادق الصيد الدفاعية الفعّالة التي تُستخدم في حماية المزارع من طراز «بومبكشن» Pump Action وخلافها.

استغلت هذه التطورات أطرافاً عدة، لا ترغب في استمرار النظام، في عملية تسليحٍ ممنهجة وشاملة، نتج منها تطور الأحداث بشكل دراماتيكي، وتحوّل الثورة إلى صراع دموي وحرب بالوكالة لمصلحة أطراف دوليين وإقليميين، قدّموا الدعم السياسي والعسكري إلى الأطراف المتصارعة، سواء أكانت نظاماً أم فصائل معارضة، سعياً منها لضمان حصة في «الغنيمة» الجيوسياسية السورية المرتقبة، فضلاً عن ظهور ميليشيات غير نظامية وتنظيمات إسلاموية عابرة للحدود، دخلت ميدان الصراع بقوة وصار لها وجود راسخ في سورية، ما أدّى إلى تعقيد الوضع الأمني. فقد استولت جبهة النصرة، الفرع السوري لتنظيم القاعدة، على العديد من المناطق وانتشرت من الجنوب إلى الشمال على مستوى قطري؛ فضلاً عن فصائل أخرى اقتصر انتشارها على مستوى محلي. ثم برز تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش» وفرض سيطرته، بعد سقوط الموصل في العراق، على محافظتي الرقة ودير الزور، مع محاولة التمدد نحو حلب. فتحوّل المشهد من كونه بداية صراع بين حكومة سلطوية وحركات شعبية مناهضة لها، إلى ساحة تنافس دولية على النفوذ والمصالح في الشرق الأوسط، تُخاض فيها الحرب بالوكالة عبر قوى محلية.

أدت ديناميات الأزمة السورية إلى نشوء تعاون عسكري سياسي مميز بين روسيا وإيران، وعلى الرغم من الاختلافات والتباينات والتعارضات التاريخية والمعاصرة بينهما، فإنها لم تقف عائقاً جدياً أمام تحقيق أهدافهما المشتركة على الأراضي السورية، المتمثلة في إبقاء الأسد على رأس السلطة، وإنقاذ مؤسسات الدولة في ما بقي لها من أراضٍ عبر التدخل العسكري المباشر، وإجراز أعلى نفوذ في سورية.

تحوّل الدعم الإيراني للنظام بالمال ونظم الاتصالات والمشورة العسكرية والتسهيلات التجارية، إلى تدخل عسكري مباشر في عام 2014. وراوحت التقديرات حول عدد القوات الإيرانية المقاتلة بالفعل في سورية بين 2000 و2500 مقاتل إيراني، بينما قدّر العدد الإجمالي للقوات الإيرانية والميليشيات الشيعية الأجنبية والمحلية السورية بنحو 80 ألف رجل، ما يعني أن عدد القوات الإيرانية النظامية كان محدوداً بالنسبة إلى العدد الميليشياوي العام الذي نظّمته<sup>1</sup>. لكن هذا التدخل لم يكن كافياً لمنع المعارضة المسلحة من محاصرة

1 Nader Uskowi, "The Evolving Iranian Strategy in Syria: A Looming Conflict with Israel," *Issue Brief*, Atlantic Council (September 2018), p. 2, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/uqiu3f>

النظام من الجهات كلها، وتعرضه ومؤسساته لخطر الانهيار في عام 2015 و بروز احتمال تغلغل المعارضة داخل العاصمة دمشق نفسها، ليطلب الأسد رسمياً من روسيا مساندة عسكرية، بعد مساندة سياسياً في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، إلى جانب الصين، باستخدام حق النقض (الفيتو) والوقوف حائلاً دون تنفيذ الولايات المتحدة ضربات عسكرية جلاء استخدام النظام الأسلحة الكيماوية، خصوصاً مع قبوله إخضاع منشآته لمراقبة منظمة حظر الأسلحة الكيماوية OPCW<sup>2</sup>. وجاء طلب النظام هذا بعد اندلاع الأزمة الأوكرانية في عام 2014 وانبعثت شبح حرب باردة جديدة بين روسيا والغرب، وتنامي رغبة روسيا في الضغط على الغرب لرفع العقوبات الاقتصادية التي فرضها عليها نتيجة تلك الأزمة، وإرغامه على التسليم بضم شبه جزيرة القرم الاستراتيجية بالنسبة إلى الأمن القومي الروسي، وهي المنطقة التي تربط قاعدة الأسطول الروسي في سيفاستوبول في البحر الأسود بالبحر المتوسط عبر مضيق البوسفور والدرنيل، وصولاً إلى طرطوس على الساحل السوري. وهكذا، أصبحت روسيا، من خلال تدخلها في سورية، لاعباً لا بد للغرب من أن يعترف بدوره ومصالحه<sup>3</sup>. فتمكنت بفضل قوتها العسكرية، لا سيما السلاح الجوي، من جعل الكفة ترجح لمصلحة النظام مرة أخرى وتقليل قدرات قوات المعارضة المسلحة على تهديد النظام، بل إرغامها على التراجع في مدن ومساحات واسعة سبق أن استولت عليها.

يركز هذا البحث على دراسة آثار الأزمة السورية في العلاقات الإيرانية - الروسية. فعلى الرغم من اتفاق الطرفين (إيران وروسيا) على ضرورة الحفاظ على النظام ومؤسساته وإضعاف النفوذ الغربي، خصوصاً الأميركي، على الأراضي السورية وفي المنطقة بشكل عام، ومدى انعكاس ذلك على التدخل العسكري المباشر لكليهما، فإن التعارض بينهما في الرؤى والطموحات والاستراتيجيات بدا واضحاً، إضافة إلى كونهما ليسا في النهاية حليفين استراتيجيين، وأنهما اختلفا في مسألة تحديد مستقبل سورية؛ إذ تفضل روسيا التعامل مع حكومة علمانية، مؤسساتها موحدة ومستقرة ذات شرعية كاملة، أما إيران فترى أن خلق تشكيلات سورية عقائدية أو شبه عقائدية ميليشيائية موالية لها مباشرة، على غرار حزب الله في لبنان وحركة أنصار الله الحوثية في اليمن، يمثل فرصة لتعزيز نفوذها في سورية، وفي المنطقة برمتها، وتستكمل ما يراه البعض «هلالها الشيعي». من هنا، يسعى هذا البحث لمناقشة المشكلات التي اعترضت تحول العلاقات الإيرانية - الروسية إلى تحالف بينهما في أثناء مرحلة التدخل العسكري المباشر في سورية، مسترشداً بافتراضات المقاربة الواقعية الكلاسيكية الجديدة Neoclassical Realism المعنية بتفسير السياسات الخارجية للدول في فترة زمنية محددة، والتي سنوضح عبرها: إلى أي مدى تتقارب النظرتان الإيرانية والروسية في المكانة الدولية والقوة والسياسة الخارجية بشكل عام، وفي سورية بشكل خاص؟ وأين تلتقي مصالحهما؟ وفيما تكمن اختلافاتهما؟ وما السيناريوهات الممكنة لمستقبل العلاقات بينهما؟

يعمل هذا البحث على عرض العلاقات الإيرانية - الروسية بشكل عام خلال فترات زمنية مختلفة، حيث يهتم المحور الأول بعرض العلاقات التاريخية بين إيران وروسيا الممتدة من فترة الحكم الصفوي في أوائل القرن السادس عشر إلى حين قيام الثورة الإسلامية في إيران (1979) وانعكاساتها على العلاقة بروسيا وبالغرب. في حين يركز المحور الثاني على عرض التقارب الذي نشأ بينهما بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وآثاره. أما

يذهب نادر أسكوي إلى أن عدد قوات الحرس الثوري الإيراني قارب 2000 رجل، لكن تشير التقارير الإسرائيلية المبنية على معلومات استخبارية إلى أن عدد مقاتلي الحرس الثوري الإيراني في سورية بلغ نحو 2500 مقاتل، وأنه جرى تقليص عددهم مع الوقت لتخفيف حدة الانتقادات الداخلية في إيران على التدخل المباشر في سورية، ومن ثم فإن الوجود الإيراني الحقيقي في سورية يجري عبر ميليشيات أجنبية شيعية مثل (حزب الله الذي بلغ عدد مقاتليه نحو 8000 مقاتل، أي ما يعادل 40 في المئة من مجمل القوى الناشطة لديه، ولواء أبو الفضل عباس، ولواء زينبيون، ولواء فاطميون)، وغير ميليشيات محلية سورية مثل (قوات الجعفرية، وقوات الرضا، وقوات الغالبون، ولواء المختار الثقفي)، وأنفقت إيران سنوياً على تكلفة تمويل هذه الميليشيات نحو 100 مليون دولار سنوياً، للمزيد ينظر "Iranian Forces Deployed in Syria," *Israel Defence Forces*, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/hwmb3c>

2 Anna Borshchevskaya, "Russia in Middle East: Motives, Consequences, Prospects," Washington Institute for Near East Studies, 26/2/2016, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/rjcyxm>

3 Robin Emmott & Phil Stewart, "Syria and Ukraine: Two Fronts in Russia Was for Influence," *Reuters*, 1/10/2015, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/byyfhg>

المحور الثالث فيتناول التقارب الإيراني - الروسي خلال الأزمة السورية، عبر عرض نوعية العلاقة التاريخية التي جمعت كل منهما بسورية ونظام الأسد، وبحث الاستراتيجيات والسياسات التي اتبعتها إيران وروسيا خلال الأزمة السورية، وكيف تلاقت في بعض النقاط وتعارضت في بعضها الآخر، إضافة إلى بحث مدى إمكان نشوء نوع من التحالف بين الطرفين في المستقبل.

## أولاً: العلاقات الإيرانية - الروسية: توطئة تاريخية

تبرز العلاقات الإيرانية - الروسية الحالية مثلاً مميّزاً لدولتين حملتا إرثاً تاريخياً ثقيلاً من علاقات متوترة مشحونة بالعداء وانعدام الثقة، نتيجة جملة عوامل ومتغيرات جيوسياسية دولية وإقليمية وسياسية، جعلت إمكان نشوء علاقات تحالف استراتيجية أمراً صعباً؛ إذ تعود جذور العلاقات بين الطرفين إلى فترات تاريخية بعيدة، لكنها شهدت تطوراً نوعياً خلال القرن السادس عشر، زمن الشاه الصفوي عباس الأول (1571-1629) والقيصر الروسي فيودور الأول (1584-1598)، حيث بدأت بعلاقات تجارية، وتطورت إلى علاقات دبلوماسية في عام 1589؛ فقد اتفقت وجهات نظر روسية - صفوية مشتركة على إضعاف النفوذ العثماني. لكن، تأزمت هذه العلاقات في عهد نادر شاه (1688-1747) والقيصر بطرس الأكبر (1682-1725)؛ نتيجة التصادم في مشروع التوسع الإقليمي لكل منهما<sup>4</sup>، واتخذ الصراع منحى جديداً، أفضى إلى اندلاع حرب إيرانية - روسية (1804-1813)، هزمت فيها إيران وفرضت روسيا خلالها سيطرتها على مناطق إيرانية شمالية، في المدة 1813 - 1828، وفق معاهدتي كلستان وتركمناجاي<sup>5</sup>.

في أواخر القرن التاسع عشر، شهدت إيران تنافساً أنكلو-روسياً، أدى إلى اقتسامها وفق اتفاق عام 1907 الأكلو-روسي، ما أدى إلى إضعافها حتى بعد توقيعها اتفاق الصداقة مع الاتحاد السوفياتي في عام 1921<sup>6</sup>، ليبقى الوضع قائماً حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (1939-1945) وصعود الولايات المتحدة الأمريكية قوة عظمى، عملت على إنهاء هذا التنافس على مناطق النفوذ في إيران الغنية بالنفط، والحلول مكانه، عبر إنشاء علاقة تحالف استراتيجية مع إيران في سياق الحرب الباردة، كان من بينها وضع أساس برنامج إيران النووي في إطار مشروع «الذرة من أجل السلام» ومنحها ما يلزم من وقود لتخصيب اليورانيوم (1957)، والسماح لها بشراء أسلحة أميركية متطورة، في مقابل حماية المصالح الأمنية الأميركية في منطقة الخليج خصوصاً، وفي الشرق الأوسط عموماً<sup>7</sup>. ثم انتهى هذا الفصل من التحالف عندما أطاحت الثورة الإسلامية (1979) الشاه محمد رضا بهلوي (1926-1979)، وعجزت الولايات المتحدة عن فعل شيء يجنبه هذا المصير، وقام نظام معادٍ لها في طهران، يرى فيها «الشیطان الأكبر»، ويهدد مصالحها في منطقة الخليج خصوصاً، وفي المشرق العربي عموماً.

شكلت الثورة الإسلامية نقطة تحوّل في التاريخ الإيراني الحديث؛ فقد أدت إيران، منذ أزمة الرهائن الأميركيين في طهران (1979) حتى أزمة برنامجها النووي<sup>8</sup>، دوراً محورياً في تنامي مخاوف الغربيين بشأن مصالحهم

4 Nawak Kashish Al Zubaidi, "Russian – Iranian Relations in the Safavid and Qajar Era: A Historical Study," *International Journal of Innovation, Creativity and Change*, vol. 18, no. 10 (2019), accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/pspzak>

5 Elaheh Koolaee, Hamed Mousavi & Afifeh Abedi, "Fluctuations in Iran-Russia Relations During the Past Four Decades," *Iran and the Caucasus* (2020), p. 216, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/ok69tk>

6 Mehrunnisa Ali, "Iran's Relations with the US And USSR," *Pakistan Horizon*, vol. 26, no. 3 (Third Quarter 1973), p. 45, accessed on 19/9/2021, at: <https://Rb.Gy/Hvslns>

7 Council of Foreign Relations, *U.S. Relations with Iran 1953-2021: Onetime allies, the United States and Iran have seen Tensions Escalate Repeatedly in the Four Decades since the Islamic Revolution*, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/knxu24>

8 Julia Masterson, "Timeline of Nuclear Diplomacy with Iran," *Fact Sheets & Briefs*, Arms Control Association, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/ijzbqz>

في المنطقة، وبرزت بوصفها مصدر قلق للولايات المتحدة، إلى درجة أن الأخيرة صنفتها من بين الدول الداعمة للإرهاب بعد تفجيرات بيروت في عام 1983، ضد القوات الأميركية والفرنسية (مقر المارينز والقوات الفرنسية)، دولة مارقة Rogue State، ثم صنفتها الرئيس الأميركي جورج بوش الابن في خطابه في كانون الثاني/يناير 2002 في عداد دول محور الشر.

على الرغم من أن علاقة إيران بالاتحاد السوفياتي لم تكن جيدة، باعتباره المزود الرئيس لمشتريات الأسلحة العراقية خلال الحرب العراقية - الإيرانية (1980-1988)، فإنها وقعت معه اتفاقاً ثنائياً في عام 1989، يقضي بتزويدها بالأسلحة السوفياتية الحديثة، لكن جاء هذا الاتفاق خلال السنوات الأخيرة من عمر الاتحاد السوفياتي، ليعلن سقوطه بعدئذ في عام 1991 بدايةً جديدة للعلاقات الإيرانية - الروسية ولتقارب وجهات النظر بينهما من الناحية الإقليمية والدولية والأمنية، ولم تحصل إيران على هذه الأسلحة.

## ثانياً: التقارب الإيراني - الروسي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي

شهدت العلاقات الإيرانية - الروسية منذ أواخر القرن العشرين، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، تطوراً ملحوظاً على الصعيد الأمنية العسكرية والأمنية الدفاعية والاقتصادية؛ إذ نشأت في فترة حكم الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسن (1991-Boris Yeltsin) أشكال تعاون أمنية متعددة، كان من بينها نجاح روسيا وإيران في إيقاف الحرب الأهلية الطاجيكية التي اندلعت في المدة 1992-1997<sup>9</sup>، عمل خلالها كلا الطرفين على الالتزام بالخطوط الحمراء ليتجاوزا أزمة الثقة بينهما وليحافظا على جودة العلاقة بينهما، خصوصاً من الجانب الإيراني الذي بدا مشككاً آنذاك في مدى التزام روسيا بعلاقاتها معه وخشيته على حدوده الشمالية من التعرض للتمدد الروسي مرة أخرى، في حين أكد يلتسن خلال بداية عهده أن شؤون المصالح الشرقية توازي في الأهمية عند روسيا المصالح الغربية، ليصف بلاده بـ «نسر برأسين». وبرز تمسك موسكو آنذاك بتطوير علاقاتها بإيران، حيث عملت على إتمام صفقتها القائمة على تسليم ثلاث غواصات لإيران وبناء مفاعل بوشهر وتزويد طهران بالماء الثقيل اللازم لمفاعلاتها النووية، ومشاركتها التقانة النووية من خلال إرسال نحو 200 عالم روسي نووي إلى إيران، مع نيتها تدريب علماء إيرانيين في عام 1995، فضلاً عن إصرارها المتكرر على عدم الامتثال للمطالب والضغوط الغربية لإيقاف الصفقة بحجة الحد من انتشار الأسلحة النووية، نظراً إلى عدم التزام الولايات المتحدة بذلك<sup>10</sup>. فبدا رفض روسيا هذه الضغوط محاولة استقلال عن الهيمنة الغربية، لكن الضغوط الغربية تمكنت من إفشال الصفقة في نهاية الأمر، وأحبطت معها صفقة بيع أسلحة روسية لإيران في عام 1998. صحيح أن قيمتها كانت قليلة، لا تتعدى ثلاثة ملايين دولار، ما قد شجع روسيا، ربما، على إلغائها تفادياً لإغضاب الغرب، إلا أنها أوصدت إمكان إجراء صفقات أخرى بمبالغ أعلى<sup>11</sup>.

لكن عقيدة روسيا الجديدة التي ظهرت مع صعود فلاديمير بوتين Vladimir Putin إلى الحكم، أول مرة (2000-2008)، والتي تتلخص في تقوية روسيا وإعادة بنائها قوة مهيمنة إقليمية ودولية فاعلة في إطار المنافسة مع الغرب، وتحولها إلى قوة إقليمية كبرى، وتركيزها على الربط بين قوة النظام الروسي في الداخل وقوة فاعليته في الخارج<sup>12</sup>، أدت دوراً أساسياً في إصلاح الضرر الناشئ في العلاقات الإيرانية - الروسية خلال فترة

9 Bulent Aliriza, Jon B. Alterman & Andrew C. Kuchins, "The Turkey, Russia, Iran Nexus: Driving Forces and Strategies," Center for Strategic & International Studies (March 2013), p. 14, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/j1xp2p>

10 Adam Tarock, "Iran and Russia in 'strategic alliance,'" *Third world Quarterly*, vol. 18, no. 2 (1997), p. 211- 219, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/mdvzjm>

11 Nikolay Kozhanov, "Understanding the Revitalization of Russian-Iranian Relations," Carnegie Moscow Center (May 2015), p. 5, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/sd3zhw>

12 Brian D. Taylor, *The Code of Putinism* (New York: Oxford University Press, 2018), p. 5.

يلتسن؛ إذ أكدت روسيا مرة أخرى استقلالها خارجياً ورغبتها في إقامة علاقات تعاون وطيدة مع دول المنطقة بما فيها إيران ضمن إطار رؤية روسيا الاستراتيجية<sup>13</sup>. فأخذ التعاون بينهما أشكالاً عديدة، كان من بينها إعلان الطرفين عن أنهما وقعا اتفاقاً دفاع جوي مشترك، بلغت قيمته آنذاك أكثر من 700 مليون دولار، وإعلان روسيا عن رغبتها في بيع أنظمة صواريخ S-300 لإيران ضمن إطار اتفاق للتعاون الدفاعي المشترك بينهما<sup>14</sup>، فضلاً عن أنهما أبرما في عام 2005 اتفاقاً بشأن مشروع إيران النووي، ينص على أن تمدّ روسيا إيران بالوقود اللازم لمفاعلها بوشهر، في مقابل أن تعيد الأخيرة الوقود المستهلك إلى روسيا لضمان عدم استخراج البلوتونيوم اللازم لتصنيع الأسلحة النووية<sup>15</sup>. لكن هذا الوضع لم يستمر مع استلام الرئيس الروسي ديمتري ميدفيدف (2008-2012-Dmitry Medvedev) الحكم، حيث بدأ، كما وصفه الرئيس الأميركي باراك أوباما Barack Obama (2009-2017)، في مذكراته **أرض الميعاد** (2020)، في ظاهره قريباً من نمط فتى أوروبي يرغب في الحفاظ على علاقات جيدة مع الغرب والتقرب منه، غير أنه لم يكن لديه تأثير كبير في السياسة، بعكس رئيس وزرائه بوتين الذي كان قوياً وصاحب تأثير كبير في سياسة البلاد، فقد بدأ ميدفيدف في تقييم أوباما له أقرب إلى «مستشار إداري دولي أكثر من سياسي»<sup>16</sup>. وبرز امتثال ميدفيدف للضغوط الغربية بأن تراجع عن تنفيذ صفقة الأسلحة التي عقدها بوتين سابقاً حول تزويد إيران بأنظمة الصواريخ العابرة للقارات S-300 من طراز PMU-2 في عام 2010<sup>17</sup>، لتصبح علاقة روسيا بإيران متذبذبة مرة أخرى. مع ذلك، نشأت خلال فترة ميدفيدف علاقات اقتصادية تجارية في قطاع الطاقة الهيدروكربونية والغاز والنفط، وغيرها<sup>18</sup>. لكنها لم تكن قوية، فلو قارننا العلاقات الاقتصادية التجارية بين روسيا وإيران بالعلاقة بين روسيا وتركيا، أو بالعلاقة بين إيران وتركيا، لوجدنا أن علاقة الطرفين الروسي والإيراني الاقتصادية والتجارية بتركيا كانت أقوى وأعلى من علاقتهما الاقتصادية والتجارية؛ بسبب صادرات الطاقة الروسية إلى تركيا، فلقد كان بوتين بدوره أيضاً متردداً في تطوير علاقة بلاده بإيران، بدليل أنه أقر مرات عدة إنهاء بناء مفاعل بوشهر وتسليمه إلى الإيرانيين، ربما للحصول على مكاسب استراتيجية وسياسية أكبر من إيران.

13 Ibid., p. 9.

14 Alireza Samoudi & Amirhossein Norouzi Shahtouri, "Iran-Russia Military and Security Relations after the JCPOA," *Journal of Iran and Central Eurasia Studies*, vo. 1, no. 1 (Spring 2018), p. 82, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/8yt8wu>

15 Masterson.

16 Barak Obama, *A Promised Land* (New York: Crown, 2020), pp. 342, 345, 460.

17 تعد أنظمة صواريخ S-300 من طراز PMU-2 جزءاً من عائلة أنظمة SAM التي بدأ تصنيعها في عام 1975 في روسيا، وتتميز بقدرتها على رصد هجمات طائرات كروز وصواريخها واستهدافها وإسقاطها، ورصد الصواريخ الباليستية القصيرة والمتوسطة المدى التي لا تتجاوز سرعتها 4500 م في الثانية واستهدافها وإسقاطها. وتعمل أيضاً ضمن نظام دفاع جوي كبير ومتكامل ADS، وتمتلك راداراً قادراً على تتبع 100 هدف بمدى 300 كلم وتعقبه والاشتباك مع 36 منها وتوجيه 72 صاروخاً في آن واحد. تسعى إيران، من خلال امتلاكها هذه الأنظمة، لحماية منشاتها النووية من أي هجوم محتمل، خصوصاً أن الأسلحة القادرة على ردع تلك الأنظمة محدودة وغير موجودة في المنطقة وتحتاج إلى طائرات من نوع خاص لا تمتلكه إلا الولايات المتحدة وبعض من الدول الأخرى القليلة، ما يعني أن امتلاك إيران هذه الأنظمة يعطيها أفضلية دفاعية - استراتيجية في المنطقة ككل ودعمًا استراتيجيًا لأنظمتها الجوية. للمزيد ينظر:

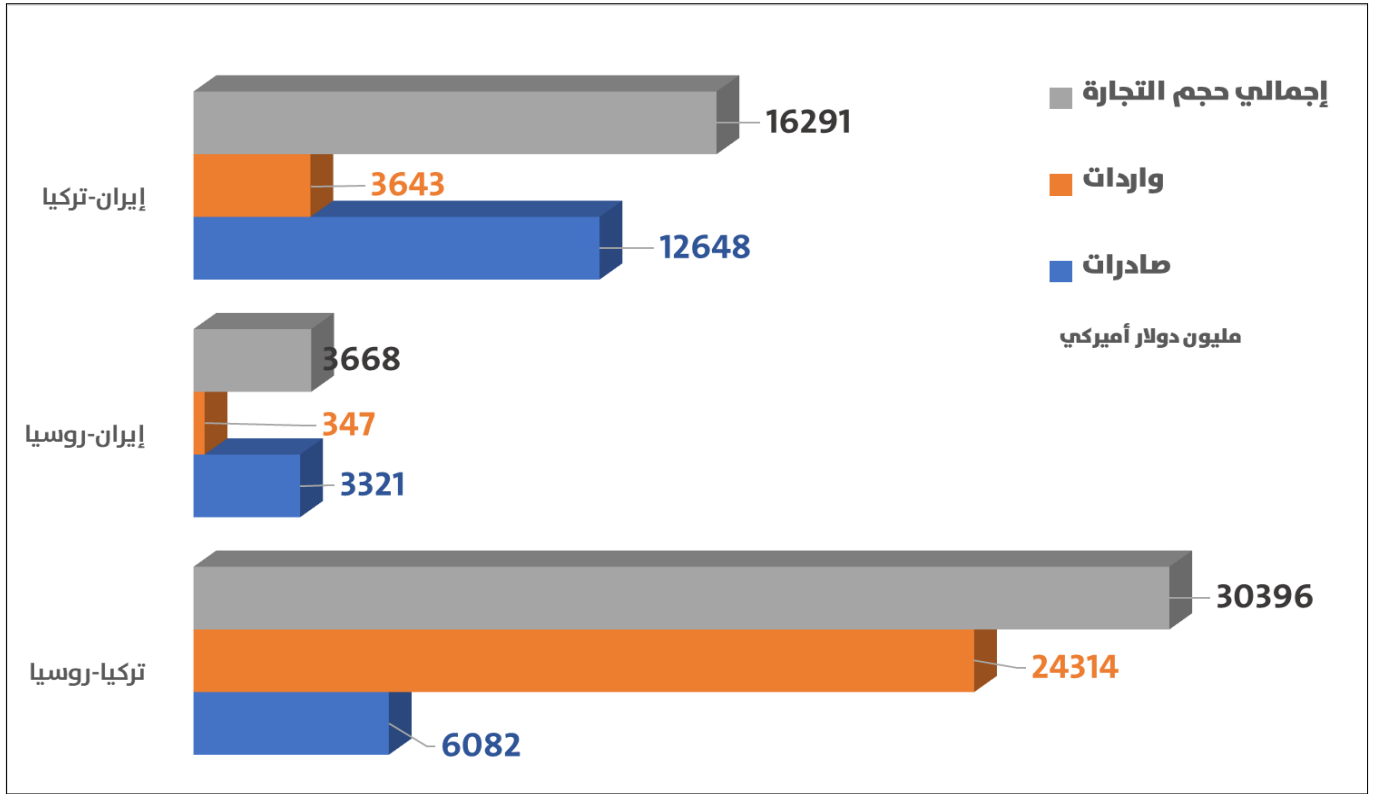
Ehsan Ostadrahimi, "S-300 PMU-2 Favorit," *Military Today*, accessed on 19/9/2021, at:

<https://rb.gy/kjocwe>; Mohammad al-Sa'eed Idris, "Alliance of Necessity between Iran and Russia Dialectical Interaction between Opportunities and Challenges," *Journal for Iranian Studies* (June 2017), p. 41, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/4kxazx>

18 Aliriza, Alterman & C. Kuchins, p. 17.



## شكل يبين حجم التبادل التجاري بين روسيا وإيران وتركيا خلال عام 2011



المصدر:

Bulent Aliriza, Jon B. Alterman & Andrew C. Kuchins, "The Turkey, Russia, Iran Nexus: Driving Forces and Strategies," at: <https://rb.gy/j1xp2p>, 2021/9/Center for Strategic & International Studies (March 2013), p. 25, accessed on 19

يبين الشكل حجم التبادلات التجارية التي جمعت كلاً من روسيا وتركيا، وإيران وتركيا، وإيران وروسيا، خلال عام 2011. ويتضح من خلاله أيضاً أن حجم التبادل التجاري بين إيران وروسيا كان أضعف من ذلك الذي كان لروسيا مع تركيا؛ إذ بلغ إجمالي التبادل التجاري التركي - الروسي حوالي 30.396 مليون دولار، في حين بلغ إجمالي التبادل التجاري الإيراني - التركي نحو 16.291 مليون دولار. أما حجم التبادل التجاري الإيراني - الروسي فلم يتجاوز 3.668 ملايين دولار، بنسبة صادرات بلغت 3.321 ملايين دولار، ونسبة واردات بلغت 347 مليون دولار. ونستنتج من ذلك أن الشركات الروسية كانت متخوفة من أن تشملها العقوبات الغربية المفروضة على إيران<sup>19</sup>.

ساد مرحلة التقارب الإيراني - الروسي، خلال المدة 1991 - 2011، الحذر واليقظة؛ فعلى الرغم من اهتمام روسيا بموقع إيران الجيوسياسي الذي دفعها إلى مناقشة مجموعة واسعة من قضايا منطقة بحر قزوين والقوقاز وآسيا الوسطى معها بهدف إيجاد رؤية مشتركة حول كيفية التوافق عليها، ضمن ما تشرحه مفاهيم الواقعية الكلاسيكية الجديدة بشأن دور الوضع الجيوسياسي في تحديد توزع القوة والنسق الدولي أو الإقليمي في منطقة محددة، فإن الضغوط الأميركية تمكنت من عرقلة هذا التقارب والإخلال بتوازنه. مع ذلك، برز صعود بوتين، إلى حكم روسيا (2012)، في فترته الثالثة بوصفه متغيراً أساسياً في تحديد نوعية العلاقة بإيران من جديد؛ فبعد خداع الإدارة الأميركية روسيا في المسألة الليبية التي تسببت لها في

19 Ibid., p. 17.

خسارة ملايين الدولارات<sup>20</sup> جراء سقوط نظام مثل أحد أبرز زبائن شركات السلاح الروسية وأحد حلفائها منذ فترة الاتحاد السوفياتي السابق، انتهجت روسيا سياسة خارجية جديدة، بدأت تتبلور منذ عام 2007؛ إذ عبّر بوتين في كلمته أمام مؤتمر ميونيخ للسلام، في 10 شباط/ فبراير 2007، عن استيائه من نظام القطبية الواحدة، ووصفه بـ «السيد الذي يدمر نفسه من الداخل»، وأنه «لا صلة له بالديمقراطية [...] وأصبح نموذجًا غير مقبول ومستحيلًا في العالم اليوم»<sup>21</sup>. وكان من أبرز تجليات هذه السياسة الجديدة الحرب الروسية مع جورجيا في العام التالي، لتبدأ معها روسيا انتهاج سياسة خارجية تسعى من خلالها للتخلص من الهيمنة الغربية عبر محاولة إنشاء نظام دولي جديد يقوم على إقامة علاقات تعاون مع دول أخرى تشترك مع روسيا في الغايات والأهداف، فجاءت رغبة موسكو في تقوية العلاقة بإيران في سياق تلاقي نظريتهما بشأن إضعاف الهيمنة الغربية وتفكيكها في المنطقة. وأعلنت روسيا على الملأ رغبتها في تقوية العلاقات بإيران في المجالات كلها، شرط أن توقّع الأخيرة الاتفاق النووي الذي رفضته خلال فترة ميدفيدف، وتقبل أيضًا بتطوير العلاقات الاقتصادية ومناقشة الوضع القانوني لمنطقة بحر قزوين، ولقي ذلك ترحيبًا إيرانيًا<sup>22</sup>. وكوّست أزمة أوكرانيا في عام 2014 - حيث سيطرت خلالها روسيا على نقطة ارتكازها البحرية الوحيدة للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، أي جزيرة القرم (آذار/ مارس 2014) - هذه السياسة بوضوح؛ إذ عادت روسيا إلى الساحة الدولية باعتبارها قوة إقليمية ودولية منافسة للولايات المتحدة والغرب. وبفضل هذه السياسة، بدأت العلاقات الإيرانية - الروسية تتطور على نحو جدّي<sup>23</sup>.

في ضوء ذلك، نشأت بين الطرفين علاقات أمنية وسياسية مشتركة اتّسمت بارتفاع وتيرة النقاشات والاستشارات واللقاءات التشاورية والاستكشافية بين المسؤولين الروس والإيرانيين بشكل رسمي منذ عام 2015، واتفقا على توسيع نطاق تعاونهما عبر رفع حظر الأسلحة والعقوبات المفروضة على إيران، وكان من ضمنها رفع الحظر عن تزويد إيران بأنظمة الصواريخ S-300، وأعربت إيران عن رغبتها في اقتناء دبابات روسية T-90، وإرسال خبرائها العسكريين إلى موسكو ليتدربوا على المعدات الدفاعية الحديثة. وخلال ذلك أيضًا وقّع الطرفان اتفاق تعاون مشترك، يقوم على برامج تدريبات عسكرية مشتركة وتبادل الخبرات من أجل مكافحة الإرهاب، والسماح لقوات كل منهما البحرية باستخدام المتبادل للمرافئ<sup>24</sup>، فضلًا عن إعلان روسيا في مطلع عام 2021 عن نيّتها إقامة تدريبات بحرية مشتركة مع إيران والصين في المحيط الهندي، بعد تجربة سابقة من التدريبات في كانون الأول/ ديسمبر 2019<sup>25</sup>.

ووقّع الطرفان اتفاقًا مشتركًا في عام 2013، يقوم على تكثيف التبادل التجاري وتقوية العلاقات الاقتصادية بينهما. وجاء هذا الاتفاق بعد إعلان بوتين عن رغبته في ذلك، في إطار ما يمكن أن تضيئه مفاهيم الواقعية الكلاسيكية التي تتمركز حول المصلحة<sup>26</sup>، مع ذلك بقيت العلاقة بينهما في هذا النطاق ضعيفة، بل شهد حجم التبادل التجاري بينهما، خلال الأزمة الأوكرانية في عام 2014، تراجعًا من 1.7 مليار

20 مروان قبيلان، "موقع السياسة والعلاقات الدولية في الصراع على سورية: تضارب المصالح وتقاطعها في الأزمة السورية"، في: آزاد أحمد علي [وآخرون]، *خلفيات الثورة دراسات سورية* (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص 279.

21 President of Russia, "Speech and the Following Discussion of the Munich Conference on Security Policy," 10/2/2007, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/i924ib>

22 Kozhanov, p. 9.

23 محمد الكوخي، *الأزمة الأوكرانية وصراع الشرق والغرب جذور المسألة ومآلاتها* (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)، ص 12.

24 Alireza Samoudi & Amirhossein Norouzi, "Iran-Russia Military and Security Relations after the JCPOA," *Journal of Iran and Central Eurasia Studies* (Spring 2018), pp. 83-84, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/4a1hp2>

25 "Russia, China, and Iran to hold Joint Naval Drills in Indian Ocean soon – RIA," *Reuters*, 8/2/2021, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/75nnpz6>

26 Y.Y. Belobrov & S.V. Demidenko, "Modern Russian Iranian Relations: Challenges and Opportunities," *Working Paper*, Russian International Affairs Council (2014), p. 15, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/nrae5d>

دولار إلى 1.4 مليار دولار في عام 2015<sup>27</sup>. ويعود هذا التراجع إلى أن الدولتين كانتا تعانيان صعوبات اقتصادية؛ فقد أدّى تدخل إيران العسكري في الأزمة السورية دوراً في استنزافها اقتصادياً، فضلاً عن آثار العقوبات الغربية المفروضة عليها طوال عقود طويلة. أما روسيا فهي تعاني، أيضاً، تداعيات العقوبات الغربية على اقتصادها، في أثر سياساتها تجاه الأزمة الأوكرانية؛ فالدولتان تعانيان مشكلات اقتصادية سببها الغرب. وفي سياق ذلك تأتي رغبتهما في إنشاء تعاون مشترك في إضعاف الهيمنة الغربية في المنطقة، جاء ضمن الرؤية الجيوسياسية الإقليمية لروسيا البوتينية في إنشاء «اتحاد أوراسي»، يقوم على خلق اتحاد خارجي مشترك بينها وبين مجموعة دول يجمعها الوضع القائم بالصعوبات والضغط المفروضة نفسها، في سبيل محاولة إقامة نظام دولي جديد متحرر من الهيمنة الغربية عموماً، والولايات المتحدة خصوصاً<sup>28</sup>. من ثم، كان هناك درجة معينة من حضور الواقعية الكلاسيكية الجديدة في السياسة الروسية تجاه إيران. لكن يمكننا أن نرى أن وضوح العناصر التي تركز على الموقع الجيوسياسي وعلى دور بنية البيئة الدولية في رسم السياسات الخارجية للدول، كان أشد حضوراً من عناصر الواقعية الكلاسيكية الجديدة الأخرى.

## ثالثاً: التقارب الإيراني - الروسي خلال الأزمة السورية

أدت الأزمة السورية منذ اندلاعها، وتحول القتال فيها إلى حرب إقليمية بالوكالة، إلى جعل الصراع الذي كان خلال مرحلة الحرب الباردة صراعاً بين الدول حول سورية، إلى صراع بين الدول داخل سورية نفسها. وأثر ذلك في درجات الانخراط الروسي الإيراني المباشر فيها ونوعيته والصراع حولها؛ ففي أثر فتور العلاقات الروسية - السورية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، مع تنامي التوجّه السوري غرباً، عادت أواصر العلاقة لتتعرّز مرة أخرى في عام 2000، عندما تولّى كل من بوتين والأسد السلطة في بلده. وشهدت هذه المرحلة في أواسط عام 2005، أي بعد صدور قانون محاسبة سورية وتوتر العلاقات الغربية - السورية، تقدماً في العلاقات العسكرية والأمنية وتصفية الديون السوفياتية السابقة على سورية. وكافأت روسيا سورية على موقفها من الأزمة الجورجية (2008)، بأن تدخلت بوتين شخصياً إبان زيارة الأسد روسيا في عام 2008، بعد اندلاع تلك الأزمة، لتسوية الخلافات العالقة بين الطرفين الروسي والسوري حول تصفية الديون السوفياتية العسكرية والمدنية السابقة. وكان قد اتفق على تسويتها في عام 2004، لكن ما حال دون تنفيذ هذا الاتفاق هو خلاف عالق، حول مئة مليون دولار. وبقي هذا الخلاف عالقاً طوال المدة 2004 - 2008، إلى أن سوّاه بوتين شخصياً في الاجتماع مع الأسد، واعتبر المبلغ العالق موضوع الخلاف مكافأة من روسيا للشعب السوري<sup>29</sup>، نظراً إلى موقف سورية المؤيد لموسكو في الأزمة الجورجية التي كانت فيها موسكو معزولة إزاء غرب مستنفر ضدها<sup>30</sup>. وتحول تطور هذا التقارب في مرحلة الأزمة الأوكرانية (2014) إلى تحالف في مرحلة التدخل العسكري الروسي في عام 2015.

27 John W. Parker, "Russia-Iran: Strategic Partners or Competitors?" *Working Paper*, The James A. Baker III Institute for Public Policy of Rice University (2016), p. 4, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/wbnlfn>

28 لمعرفة المزيد عن "الاتحاد الأوراسي" من ناحية النشأة والأجندة، ينظر: Bobo Lo, "Greater Eurasia the Empror's New Clothers or Idea whose Time Has Come?" *Russia. Nei. Reports. no. 27*, IFRI (July 2019), pp. 13-15, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/dioe7s>

29 عبد الله الدرديري (رئيس هيئة تخطيط الدولة ورئيس اللجنة الفنية للديون الخارجية الذي ترأس الوفد الفني في المفاوضات، وحضر مع وفد الرئيس السوري الجلسة التي عقدت مع الوفد الروسي برئاسة بوتين)، مقابلة عبر الواتساب، 2021/9/8.

30 كانت تسوية بوتين مسألة الديون البالغة نحو 13.36 مليار دولار مكافأة روسية سخية، تجاوزت الحد الرسمي المعلن لتسوية الديون السوفياتية مع الدول المدينة، وهو 73 في المئة؛ إذ أعفيت سورية بموجبها من نحو 92 في المئة من الديون السوفياتية السابقة المستحقة عليها، مع تسديد 1.5 مليار دولار، يسد منها مليار دولار على أقساط نصف سنوية مدة عشر سنوات، بينما يسد الباقي بالليرة السورية نقداً، أو ببضائع سورية. ينظر: المرجع نفسه.

غير أن العلاقات الاقتصادية بينهما (إيران وروسيا) بقيت محدودة، إلى أن شهدت تطوراً لافتاً خلال هذه الأزمة، مع بروز التنافس الإقليمي والدولي حول غاز شرق المتوسط، وتركزت على الغاز ومصادر الطاقة. وتحوّل الاهتمام ليتجاوز حدود السلع التجارية، إلى حدود السلع الاستراتيجية التي يتموضع الغاز فيها. أما بالنسبة إلى إيران، فقد مثلت سورية أهمية استراتيجية منذ مساندتها لها خلال حربها مع العراق وتأسيس حزب الله الذي ترافق مع قيام علاقات تحالف استراتيجية إيرانية - سورية. فعلى امتداد فترة حكم الرئيس السابق حافظ الأسد (1970-2000)، نشأ تعاون عسكري وأمني واستراتيجي بينهما، انعكس على علاقتهما الاستراتيجية مع حزب الله، وسمح لاحقاً بتسهيل وصول إمدادات السلاح إليه، بما فيها الصواريخ، ما أدّى إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان في أيار/ مايو 2000. وتعززت العلاقة بينهما في عهد خلفه بشار الأسد، خصوصاً بعد الحرب الإسرائيلية على لبنان في تموز/ يوليو 2006، في إطار الاستراتيجية السورية لتوطيد ما دُعي بمحور المقاومة، الممتد من إيران إلى سورية وحزب الله ومنظمات المقاومة الفلسطينية التي كانت تلتقي مع الاستراتيجية الإيرانية. وفي أثر اندلاع الأزمة السورية (2011)، حاولت إيران أن تقوم بدور سياسي فترة محدودة، اتسم بعقد مؤتمرات ولقاءات عدة في طهران بين شخصيات سورية، بعضها معارض. لكن، سرعان ما انتهى هذا الدور المحدود مع تدخلها الأمني - العسكري والتقني والقتالي المباشر في سورية ضد المعارضة المسلحة وأطرها السياسية، فضلاً عن تجنيد ميليشيات عدة للقتال إلى جانب صفوف الجيش النظامي. وفي الحالتين شهدت سورية تدخلًا عسكرياً وأمنياً مباشراً أثر في اتجاهات الاستراتيجيتين الروسية والإيرانية وتقاربهما ليس في سورية فحسب، بل في منطقة الشرق الأوسط كلها أيضاً، فجعلت الأزمة السورية العلاقات بينهما أكثر من براغماتية وأقل من استراتيجية.

## 1. الاستراتيجية الروسية

منذ صعود فلاديمير بوتين إلى الحكم في روسيا، صبّت الاستراتيجية الروسية جُلّ اهتمامها على عودتها إلى الشرق الأوسط. جاء ذلك بعد غزو الولايات المتحدة العراق (2003) وإسقاط أنظمة حلفاء روسيا السابقين، من صدام حسين في العراق إلى نظام معمر القذافي في ليبيا (2011)، على الرغم من أن الأخير حاول التحول إلى حليف للغرب ابتداءً من عام 2003، ووصف بوتين الحداثيين بـ «المأساة»<sup>31</sup>. وعمل بوتين، خاصة بعد الأزمة الأوكرانية، على نزع هيمنة الغرب على النظام الدولي. وبناء عليه، عملت روسيا على تحويل توجهها السابق من التعاون المشترك مع الغرب في بحث حلول لمشكلات الشرق الأوسط، إلى العمل منفردة من خلال سعيها لاكتساب المزيد من القوة والنفوذ والتأثير في المنطقة والضغط على الغرب نفسه عبر إيجادها موطئ قدم راسخة فيه، وارتفعت وتأثر ذلك بعد اندلاع الأزمة الأوكرانية واستغلالها من الغرب. وعلى على حدّ تعبير بوتين، عمل الغرب على «اعتلاء قمة الفرس ودعم الانقلاب من دون معرفة حقيقة ما يحدث»<sup>32</sup>، لتأتي معه أهمية سورية الجيوسياسية والاستراتيجية في تحقيق ذلك. فإذا كانت سيفاستوبول في القرم رأس الأسطول البحري الروسي، وكانت القرم نافذة روسيا الوحيدة للوصول إلى المتوسط، فإن نهاية هذا الخط عبر المتوسط هي في طرطوس السورية. وقد التقط الرئيس الأسد بسرعة ذلك، وأرسل إلى بوتين رسالة بثّتها وكالة الأنباء السورية (سانا)، أعرب له فيها، «باسمه وباسم الشعب العربي السوري، عن تضامن سورية مع جهود الرئيس بوتين لإعادة الأمن والاستقرار إلى دولة أوكرانيا الصديقة في وجه محاولات الانقلاب على الشرعية والديمقراطية لصالح المتطرفين الإرهابيين». ورأى الأسد أيضاً أن بوتين يقوم بذلك من خلال «قيادته السياسية الحكيمة والتزامه بالشرعية الدولية والأسس القانونية التي تضبط العلاقات بين البلدان

31 Oliver Stone, "The Putin's Interviews," *Showtime* (2017), p. 134.

32 Ibid.

والشعوب». وجدّد الأسد دعم بلاده «نهج الرئيس بوتين العقلاني المحبّ للسلام والساعي لإقامة نظام عالمي يدعم الاستقرار ويحارب التطرف والإرهاب». وعبر عن ثقته بـ «قدرة الرئيس بوتين الكبيرة على الإسهام بإعادة الشرعية والهدوء إلى أوكرانيا وبنجاح الشعب الأوكراني في إنهاء التطرف والإرهاب في ربوع بلاده»، بما يتضمّن ذلك من دعوة روسيا إلى خوض الحرب ضد الغرب في سورية تحت عنوان «مكافحة الإرهاب» في سورية<sup>33</sup>، ووضع سورية في مجال استراتيجيته في مواجهة الغرب.

إضافة إلى ذلك، حاولت روسيا باستمرار استمالة حلفاء الغرب والولايات المتحدة خصوصاً، من خلال إقامة علاقات تحالف قوية معهم، ومن ثم بيعهم الأسلحة الروسية، كما حصل مع مصر، وتعزيز العلاقات مع إسرائيل، التي بلغت ذروة تطورها في عهد حكومة آريئيل شارون (2001-2006)، ثم تعمّقت في مرحلة حكومة بنيامين نتنياهو نتيجة التدخل العسكري الروسي في سورية<sup>34</sup>. ولعلّ ما سهّل عليها تلك المهمة في تسويق أسلحتها هو نجاحها، بعد تدخلها العسكري المباشر في عام 2015 في سورية، في اختبار جودة هذه الأسلحة وفعاليتها في ميدان الحرب السورية، وهو ما أكدته تصريحات المسؤولين الروس، إضافة إلى الموضوع الاستراتيجي المتعلق بحقول الغاز المكتشفة في الحوض الشرقي للمتوسط وسعي أوروبا للحصول على مصدر جديد للغاز الطبيعي يخفّف اعتمادها الكبير على روسيا<sup>35</sup>.

تشكل سورية بموقعها أهمية جيوسياسية لروسيا، فهي تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، حيث يمكن أن تتحول إلى ممر محتمل ومهمّ لالتقاء شبكات الطاقة الإقليمية ومشاريعها من مصر وإيران والخليج في اتجاه تركيا وأوروبا، وهو ما قام جزء منه فعلياً من خلال مشروع خط الغاز العربي الذي كان مقرراً أن يستمر مدّه إلى تركيا، لكنه توقف مع اندلاع الأزمة السورية<sup>36</sup>، إضافة إلى أهمية المواقع البحرية السورية لروسيا، مثل قاعدة طرطوس البحرية، وحميميم الجوية البحرية، واستثمار ميناء طرطوس الذي سيّتح لها القدرة على وصل مينائها سيفاستوبول في البحر الأسود في خط استراتيجي بحري متصل بميناء طرطوس في شرق البحر المتوسط، ليتفق ذلك مع رغبة روسيا التاريخية في الوصول إلى المياه الدافئة أولاً، وتمكّنها من تعزيز وجودها العسكري في المنطقة وإضعاف سيطرة منظمة حلف شمال الأطلسي «الناتو» وتعزيز قدرات منافستها له في الشرق الأوسط، ثانياً<sup>37</sup>. وما لم تتمكن روسيا من الحصول عليه في مرحلة معاهدة الصداقة بين الاتحاد السوفياتي وسورية، حيث لم تحصل على أكثر من تقديم ميناء طرطوس خدمات فنية وصيانة وتزوّد بالوقود<sup>38</sup>، حصلت عليه مع قاعدة جديدة في حميميم خلال تدخلها المباشر في الأزمة السورية. وبهذا المعنى حصلت روسيا على امتيازات استراتيجية حقيقية، كما حصلت في عام 2021

33 "الأسد يؤكّد تضامن دمشق مع بوتين في موقفه من الأزمة الأوكرانية"، *يورو نيوز*، 2014/3/6، شوهد في 2021/9/7، في: <https://rb.gy/apjf83>

34 James Sladden et al., "Russian Strategy in the Middle East," Rand Corporation (2017), p. 8, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/i0gejy>  
تعتبر إسرائيل ومصر حليفاً قوياً للغرب والولايات المتحدة في الشرق الأوسط وزبوناً قديماً لصناعاتهم العسكرية، خصوصاً الأميركية، لكن العلاقات بينهم شهدت توتراً نسبياً خلال العقود الأخيرة نتيجة انتقال وزير الدفاع عبد الفتاح السيسي على نظام ديمقراطي حكم مصر طوال عام برئاسة محمد مرسي، الأمر الذي دفع الجانب الأميركي إلى التوقف عن إرسال مساعداته العسكرية إليها، وكانت تقدر بنحو 1.3 مليار دولار، لتلجأ مصر بعدها إلى المعونات الخليجية وشراء السلاح الروسي. في حين تسبب دخول الولايات المتحدة في الاتفاق النووي الإيراني في استياء إسرائيل، لاعتبارها إياه تهديداً لأمنها القومي، وما أثار مخاوفها بشأن مدى التزام الولايات المتحدة بالعلاقات الاستراتيجية معها، لتبدأ معه إسرائيل في البحث عن بديل في حال تحققت تلك المخاوف، فطبعت العلاقات مع مجموعة من الدول العربية (الإمارات العربية والبحرين والسودان والمغرب)، إضافة إلى علاقتها الجيدة بروسيا. فتبرز الخطوة الروسية في التجاوب مع إسرائيل ومصر في إطار رؤيتها لعودتها إلى الشرق الأوسط وإضعاف حجم النفوذ الأميركي في هذه المنطقة، ومن ثم فإنه يتصل بالتنافس مع الولايات المتحدة حول المنطقة، للمزيد ينظر:

Shana Marshall, "The Egyptian Armed Forces and the Remaking of an Economic Empire," Carnegie Middle East Center (April 2015), pp. 11-13, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/kdxst5>; Jonathan H. Ferziger & Gawdat Bahgat, "Israel's Growing Ties with The Gulf Arab States," *Atlantic Council* (July 2020), accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/yjb3qj>

35 Pasquale DE MICCO, "The Prospect of Eastern Mediterranean Gas Production: An Alternative Energy Supplier for the EU?" *European Parliament* (April 2014), p. 18, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/no2tyr>

36 مروان قبّان، "اكتشافات الغاز الطبيعي شرق المتوسط استشراف الفرص والتحديات"، في: *استشراف للدراسات المستقبلية*، الكتاب الثالث (الدوحة/ بيروت): المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (2018)، ص 101، شوهد في 2021/9/19، في: <https://bit.ly/3CqB2R8>

37 Tanvi Chauhan, "Why Are Warm-Water Ports Important to Russian Security? The Cases of Sevastopol and Tartus Compared," *Journal of European, Middle Eastern & African Affairs*, vol. 2 (Spring 2020), p. 10, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/mdtmpz>

38 Seth G. Jones, "Russian Goals and Strategy in Moscow's War in Syria," Center for Strategic & International Studies (May 2020), p. 9, accessed on 2/10/2020, at: <https://rb.gy/onbhhs>

على اعتراف رسمي سوري باستقلال كل من إقليمي أبخازيا Abkhazia وأوسيتيا الجنوبية South Ossetia الجورجيتين بوصفهما دولتين مستقلتين، سيطرت عليهما قوات موالية لروسيا وبدعم مباشر منها بعد الحرب الجورجية (آب/ أغسطس 2008). وقد أثار هذا الاعتراف غضب جورجيا، وردت بأنها ستقطع علاقاتها الدبلوماسية مع سورية. وقال نائب وزير خارجية جورجيا، ديفيد دوندوا إن «الخطوة التي اتخذتها سورية تدعم العدوان العسكري الروسي على جورجيا، واحتلالها غير القانوني لأبخازيا ومنطقة تسخينفالي (أوسيتيا الجنوبية)، والتطهير العرقي الذي يحدث منذ سنوات»<sup>39</sup>.

## 2. الاستراتيجية الإيرانية

ترتكز الاستراتيجية الإيرانية على ما يدعى «الهلل الشيعي»<sup>40</sup> الذي يعمل على تحويل إيران إلى قوة إقليمية جيوسياسية كبرى في الشرق الأوسط، عبر تشكيل حزام من الدول المتصلة فيما بينها، جغرافياً وسياسياً، وصولاً إلى البحر المتوسط وجنوب شبه الجزيرة العربية، وعبر استخدام روابطها مع الطوائف الشيعية المختلفة في تلك البلدان، على الرغم من التباينات المذهبية بينها، لكن يجمع بينها الفضاء الشيعي (العلويون في سورية والشيعية الإمامية في كل من العراق ولبنان، والحوثيون الزيديون في اليمن) لخدمة مصالحها الاستراتيجية في بناء ذلك الحزام الأمني الاستراتيجي المتصل، إضافة إلى إحكام قبضتها على المضائق الاستراتيجية المتمثلة في مضيق هرمز الذي يصل بين الخليج العربي وبحر العرب، ومضيق باب المندب الذي يصل بين البحر الأحمر وخليج عدن.

يتضمن «الهلل الشيعي» فكرة وصل إيران بالعراق وسورية ولبنان، وصولاً إلى المتوسط، إضافة إلى اليمن المطلّة على مضيق باب المندب في الجنوب، مستغلة البعد المذهبي في توسعها القومي، لكنها تغلّف ذلك بالصراع ضد إسرائيل والولايات المتحدة، مستثمرة العداء العام الواسع تجاههما في المنطقة. وعبر هذه الاستراتيجية، تصبح إيران دولة قومية إقليمية مهيمنة على تلك البلدان، وتكون قادرة على تقديم الدعم المباشر إلى رأس حريتها في استراتيجيتها في شرق المتوسط، وهو حزب الله في لبنان، وتوسيع نفوذها نحو الحدود الفلسطينية المحتلة<sup>41</sup>، لتكون بذلك طرفاً في الصراع العربي - الإسرائيلي، قادراً على تقديم دعم مباشر إلى حركة حماس والمنظمات الجهادية في الداخل الفلسطيني. وتستند السياسة الإيرانية في المنطقة بما فيها سورية، إلى ثلاثة أركان أساسية، هي: رؤيتها لحاجاتها الأمنية كدولة، ورؤية النظام وطموحاته، والتنافس الإقليمي. وتمثل سورية في هذه الاستراتيجية أهمية جيوسياسية كبرى لإيران، تمكّنها من استكمال متطلبات هلالها الاستراتيجي الشيعي، وتعزيز اتصالها المباشر بحزب الله، إضافة إلى التملّص من العقوبات الأوروبية المفروضة على نفطها عبر استخدام المواقع السورية وموانئها<sup>42</sup>.

## 3. أوجه الالتقاء والاختلاف بين روسيا وإيران في سورية

من الناحية الاستراتيجية، تقاطعت كلتا الرؤيتين الروسية والإيرانية في مواجهة الغرب وحلفائه، لا سيما الولايات المتحدة، بينما شكلت محاولة كل منهما بسط نفوذها في الشرق الأوسط عبر إنشاء علاقات تحالف

39 "سوريا تعترف رسمياً بإقليمين منفصلين عن جورجيا تدعمهما روسيا"، بي بي سي عربي، 2018/5/29، شوهده في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/wfdgd7>

40 للمزيد عن الهلال الشيعي، ينظر: Moshe Ma'oz, "The 'SHI'I CRESCENT': Myth and Reality," The Saban Center for Middle East Policy at the Brookings Institution (November 2007), accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/kos2jo>

41 علي حسين باكير، "الأبعاد الجيوسياسية للإيرانية والتركية حيال سورية" في: علي [آخرون]، ص 510 - 511.

42 قبيلان، "موقع السياسة والعلاقات الدولية في الصراع على سوريا"، في: المرجع نفسه، ص 291.

مع دول المنطقة أرضية للتنافس والتعاون في آن واحد، وهذا التقاطع هو ما تحقق في سورية التي امتلكت مكاناً مركزياً في كلتا الرؤيتين الاستراتيجيتين، نتيجة امتلاكها موقعاً جيوسياسياً واستراتيجياً مهماً لكليهما. لكن، برزت نقاط الاختلاف في الاستراتيجيتين عند تعريف كل منهما إسرائيل؛ إذ ترى روسيا أن توثيق علاقتها بإسرائيل مهم لها في المنطقة، في حين تجد إيران فيها عدواً استراتيجياً لها، ما مثل جزءاً من أوجه التضارب بينهما في سورية وتسبب في نشوب خلافٍ بينهما أكثر من مرة.

جرى عقد اجتماع بين بوتين ووتنياهو في موسكو (2015)، تحدث فيه الأخير عن مخاوف إسرائيل من أن تستغل إيران وجودها في سورية وتهدد أمن إسرائيل القومي عبر تزويد حزب الله بالسلاح والعتاد، وأنها قد تستخدم وجودها العسكري في جنوب الجولان في إنشاء جبهة عسكرية ضد إسرائيل<sup>43</sup>. وبعد هذا الاجتماع، انتشرت الأنباء حول وجود تفاهات أمنية عسكرية إسرائيلية - روسية، قامت على «إيجاد آلية» مشتركة تقوم على تنسيق الضربات العسكرية الجوية بين قواتهما «لمنع نشوء سوء تفاهم بين وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي والقوات الروسية»<sup>44</sup>.

في سياق ذلك، أشارت دراسة نشرها المعهد الدولي للدراسات الإيرانية إلى أن التنسيق العسكري الإسرائيلي - الروسي قام على إنشاء خط اتصال مباشر بين الطرفين يساعدهما في تجنب أي احتكاك محتمل بينهما في سورية<sup>45</sup>. فشمّل ذلك التنسيق الهجمات الجوية والصاروخية الإسرائيلية المتكررة على مواقع الميليشيات الإيرانية في سورية، تحديداً المواقع القريبة من الجولان في جنوب سورية، في حين لم تصب أي منها مواقع روسية في سورية، وتجاهلتها روسيا وضغطت لاحقاً على الميليشيات الإيرانية لمغادرة تلك المناطق<sup>46</sup>، ما يؤكد التزام روسيا بعلاقتها بإسرائيل عبر تجاهل تلك الضربات، وسعيها عبر ذلك لتبديد شكوك القادة الإسرائيليين في إمكان وجود دعم عسكري روسي لحزب الله، خصوصاً بعد تصريح أحد المسؤولين في الحزب بوجود رؤية مشتركة بينه وبين روسيا حول الوضع السوري، وأنهما قد أصبغا قريبين من بعضهما، لا سيما بعد انسحاب الغرب من الأزمة السورية، ما أثار الريبة لدى إسرائيل<sup>47</sup> التي بقيت تشك في علاقات روسيا بحزب الله. والحقيقة أنه كان هناك تنسيق عملياتي كبير بين روسيا وحزب الله، تمثل في تحويل وحدات النخبة لدى حزب الله المسماة «قوات الرضوان» إلى قوة برية تعمل بالتنسيق الكامل مع الطيران الروسي، كما استفاد الحزب بدوره من التدريبات والتكتيكات الروسية بشكل كبير.

يرى السفير الفرنسي السابق في سورية ميشيل دوكلو Michel Duclos، أن بوتين وجد في الهجمات الإسرائيلية فرصة تساعده في «احتواء» الوجود الإيراني في سورية<sup>48</sup>. لكن الموقف الروسي تجاه الضربات الجوية والصاروخية الإسرائيلية المتكررة على سورية قد تغير نسبياً لاحقاً؛ ففي إثر اعتراف القوات الجوية السورية في أيلول / سبتمبر 2018 بأنها أسقطت عن طريق الخطأ طائرة روسية في أثناء تصديها لغارات جوية

43 Larry Hanauar, "Israel's Interest and Options in Syria," Rand Corporation (2016), p. 4, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/fcd13k>;

ناقشت جلسات المنتدى القومي الإسرائيلي (The Institute of National Security Studies INSS) الذي عقد في أيار / مايو 2020، الوجود الإيراني في سورية. وأشارت المناقشات إلى أنه على الرغم من الصعوبات الجدية التي تواجهها إيران، فإنها لا تزال تسخر مواردها لتعزيز جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشكل بدورها تهديداً لأمن إسرائيل في المنطقة. للمزيد، ينظر:

Itai Brun & Amos Yaldin, "Updated Strategic Assessment for Israel for 2020 and Recommendation for the New Government," /INSS (May 2020), p. 5, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/yxhcjv>

44 Maria Tsvetkova, "Israel, Russia to Coordinate Military Action on Syria," Reuters, 21/9/2015, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/mkutjv>

45 أحمد بن ضيف الله القرني، «آفاق التخادم الاستراتيجي الروسي-الإيراني في سوريا»، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، 2020/6/18، ص 13، شوهد في <https://rb.gy/h0naww>، في: 2021/9/19

46 Hanauar, p. 4.

47 Sarah Lain & Igor Sutyagin, "The View from Moscow," in: Aniseh Bassiri Tabrizi & Raffaello Pantucci (eds.), *Understanding Iran's Role in the Syrian Conflict* (Washington: RUSI, 2016).

48 Michel Duclos, "Russia and Iran in Syria- a Random Partnership or Enduring Alliance?" *An Interim Report*, Atlantic Council Rafik Hariri Center for Middle East (June 2019), p. 6, accessed on 30/11/2020, at: <https://rb.gy/uwksik>.

إسرائيلية، ألقت موسكو اللوم على إسرائيل، فتوترت العلاقة بينهما مؤقتاً. وعبر ذلك الاستياء الروسي من إسرائيل عن نفسه عملياً بإسقاط طائرة إف 16 إسرائيلية في سماء الجليل في طريق عودتها من قصف داخل سورية في شباط/ فبراير 2018. ومع تسلم نفتالي بينيت منصب رئيس الوزراء الإسرائيلي في عام 2021، فإن استياء موسكو من الضربات الجوية والصاروخية الإسرائيلية المتكررة على سورية كان واضحاً ومعلناً في تموز/ يوليو 2021؛ إذ أكد بوتين أن بلاده «ليست مرتبطة بأي تفاهم مسبق» مع الحكومة الإسرائيلية، محدّراً إسرائيل من أن روسيا ستغيّر قواعد اللعبة، بعد أن أعلنت عن أن المنظومات السورية الجوية التي اعترضت الضربات الجوية هي منظومات روسية، وأنها قد تكثف تدريباتها العسكرية لعناصر الدفاع الجوي السوري من أجل الحدّ من الضربات الإسرائيلية على مواقع الميليشيات الإيرانية<sup>49</sup>، ما يعني أن روسيا عبر تأديتها دور ضابط الأمن في الشرق الأوسط، تسعى لموازنة العلاقة بين إيران وإسرائيل وضبطها، وأنها أصبحت تنظر إلى إيران كحليف في سورية، وترى أن سلامته أمر ضروري لها.

من الناحية الأمنية والعسكرية، ساهم تدخل إيران وروسيا العسكري في سورية في تقوية العلاقات بينهما، وفي نشوء تعاون عسكري وأمني وسياسي مميز ومتكامل يقوم على احتواء أي صدام محتمل بينهما، ليشتتمل على اقتسام الأدوار العسكرية بينهما، بأن تكفّلت إيران بالقتال البري وتولّت روسيا القيام بالعمليات الجوية؛ إذ يتميز نظام الدفاع الإيراني باعتماده في المقام الأول على استخدام الصواريخ طويلة المدى، واستناده في القوى القتالية إلى الحرس الثوري (فيلق القدس) ومجموع ميليشيات عراقية وأجنبية وحزب الله، وهو ما وجدت فيه روسيا نقاطاً إيجابية وسلبية، حيث استفادت بشكل كبير من القوة البرية الإيرانية، خصوصاً أنها قد تميزت بقدرتها على الردع، مترافقة مع مهارتها في القيام بهجوم معاكس على الأطراف المهاجمة لها<sup>50</sup>، لكن مع ذلك، فإن روسيا اضطرت في بعض الأحيان إلى إرسال كتائب روسية برية مساندة للجيش النظامي والميليشيات المساعدة له، نظراً إلى ضعف التنسيق بين تلك الميليشيات<sup>51</sup>، فاعتمدت على الشركات الأمنية الروسية الخاصة في القتال البري الذي مكّنها من اختبار نموذج الحرب الهجينة بعد الحرب الليبية<sup>52</sup>، واعتمدت أيضاً على جيشها النظامي وأسلحتها المتطورة والمنوعة.

قام توزيع الأدوار وتكاملها على استخدامهما المتكرر للقواعد العسكرية بغية تحقيق أهداف استراتيجية في سورية، كسماح إيران لروسيا باستخدام قواعدها الجوية على نحو متكرر (قاعدة همدان الجوية Hamdan Airbase) لتنفيذ ضربات جوية وصاروخية طويلة المدى على مواقع المعارضة في سورية<sup>53</sup>، وهي المرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية التي تسمح فيها إيران بتنفيذ ضربات عسكرية من أراضيها أو من قواعدها، فضلاً عن تسليم روسيا إيران في عام 2016، حينما وصل الصراع في سورية إلى ذروته، أنظمة صواريخ S-300 التي كانت إيران قد طلبتها في عام 2010، لتؤكد إيران بعدها فاعلية تلك الأنظمة القتالية والعملياتية<sup>54</sup>. ويشير ذلك بدوره إلى تعمق التعاون والروابط السياسية والأمنية بينهما خلال الأزمة السورية،

49 Henry Meyer & Gwen Ackerman, "Putin Flexes His Muscles in Syria in Test of Israeli's New Leader," *Bloomberg*, 3/8/2021, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/qxwyck>; "Syrian air Defense Repels Israeli Missile Attack in Damascus Governorate," 25/7/2021, accessed on 6/8/2021, at: <https://rb.gy/wkpvlg>

50 Defence Intelligence Agency, *Iran: Military Power* (Washington: 2019), p. 22, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/fzgyvr6>

51 Lain & Sutyagin, p. 19.

52 Seth G. Johns et al., "Russia Corporate Soldiers The Global Expansion of Russia's Private Military Companies," *Central for Strategic International Studies* (July 2021), pp. 32-39, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/ygvmmi>

53 وفقاً لتصريح أدلاه وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف في 28 آذار/ مارس 2017، فإنه بوسع روسيا استخدام قواعد إيران العسكرية في سبيل تنفيذ ضربات جوية على مواقع المعارضة السورية أو الإرهابيين، على حد وصفه.

"Russia 'showed-off' Over use of Iran airbase for Syria strikes," *BBC*, 22/8/2016, accessed on 19/9/2021, at:

<https://rb.gy/swoqbe>; "Iran Says Russia can use its Military Bases 'on Case by Case Basis'," *Reuters*, 28/3/2017, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/m2ny24>

54 "Russian - Made S-300 air Defense Missile Systems Assume Combat Duty in Iran," *TASS*, 5/7/2017, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/xcvipq>; "Iran Successfully Tests S-300 Missile System," *Tasnim News Agency*, 4/3/2017, accessed on 3/8/2021, at: <https://rb.gy/axa4po>



ويبرز تهديده للمصالح الغربية في المنطقة، خصوصاً أن الطرفين مجتمعان على فكرة دعم الأسد وتقويته، الذي رفع بدوره وتيرة العنف والصراع المسلح في سورية، من استعادة الجيش النظامي مبادرته لاسترداد أكبر قدر من الأراضي التي خسرها. وتنتج من ذلك تهميش المساعي الغربية والأممية بعد تعزيز قوة الجيش النظامي في حل الأزمة، ومراوحة التسويات السياسية الأممية في أمكنتها من دون حدوث أي تقدم. وكان هذا التهميش أحد مظاهر اشتراك كل من إيران وروسيا في رؤية موحدة حول السياسة الغربية في الشرق الأوسط، ورغبتهما في إنشاء نظام دولي جديد متعدد الأقطاب، تؤيدان فيه دوراً محورياً، وهو ما أشار إليه المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية، آية الله علي خامنئي، في أن «التعاون الوثيق» سيمكّن روسيا وإيران من «إحباط خطة الولايات المتحدة طويلة الأمد ناحية جميع الدول وناحيتهما»<sup>55</sup>، وتأكيد روسيا في أكثر من محفل أن إيران «حليف وشريك» لها وإدانتها الاتهامات الغربية بكونها «خطراً» يهدّد أمن المنطقة<sup>56</sup>.

مع ذلك، فإن تعقيدات العلاقة الإيرانية - الروسية برزت في سياقات عدة، كان من بينها اختلاف رؤيتهما لشكل الجيش السوري ونظامه الأمني؛ إذ سعت إيران منذ بداية الأزمة لخلق مراكز نفوذ وتأثير لها في الأجهزة الأمنية والعسكرية والاقتصادية السورية، بأن عملت بدايةً على تزويد النظام بتقنيات المراقبة وتقنيات ضبط الحشود اللازمة لاحتواء الحركات الاحتجاجية، وقدمت إليه قروضاً بمليارات الدولارات وخطوط ائتمان سخية وتبرعات بالنفط، إضافة إلى مساهمتها في تقديم المشورة والنصح اللازم إلى الأجهزة الأمنية وإقامتها تدريبات عسكرية للجيش النظامي السوري وبعض قواته الميليشياوية المساندة، ليتكّيف مع حرب المدن والحرب على الإرهاب، وأنشأت مجموعة ميليشيات محلية تابعة للجيش، مثل قوات الدفاع الوطني التي أسست في عام 2012، والتي قُدّر عدد أفرادها بـ 40 ألف مقاتل، ضمت فيها الفئات المذهبية السورية كلها، وأسست إلى جانب ذلك مجموعة ميليشيات شيعية علوية محلية قريبة من نمط حزب الله والميليشيات العراقية من ناحية التشكيل وكيفية تعامل إيران معها. وقاتلت هذه الميليشيات العلوية التي تلقت تدريبات عقائدية في المعسكرات الإيرانية إلى جانب الجيش النظامي، وتحديدًا الفرقة الرابعة، ووصفتها، رسمياً، الأجهزة الإعلامية السورية بالقوات الرديفة أو المساعدة<sup>57</sup>. وتعارض ذلك على نحو واضح مع رغبة روسيا في إصلاح الجيش السوري وإعادة توحيدته وحده متكاملة في إطار تقوية الحكومة السورية ومؤسساتها الأمنية؛ إذ تنظر روسيا إلى الجيوش باعتبارها الكيان الأساسي الضامن لسلامة الدولة ككل واستقرارها. ونظراً إلى أن الجيش السوري بشكل عام كان متهاكاً وعاجزاً عن القيام بدور فعال في تحقيق الأمن والاستقرار في سورية، فإن تقسيمه ميليشيات، سيساهم، كما يرى ألكسي كلوبينكوف في إضعافه وتشتيته بشكل أكبر، وسينعكس ذلك سلبياً على محاولات روسيا إصلاح الجيش وإعادة تأهيله وتدريبه باعتباره جيشاً نظامياً موحّداً تابعاً لدولة موحدة ومستقلة. فضلاً عن أن وجود هذه الميليشيات يشكّل خطراً على سيادة الدولة، لأنها نمت بشكل واضح من ناحية الحجم والعدد والنفوذ، ونمت معها رغبتها في الاستقلال عن الجيش السوري ومنافسته، الأمر الذي سيؤثر سلبياً في مصلحة روسيا المستقبلية ونفوذها في سورية<sup>58</sup>. ولتجنّب روسيا ذلك، عملت على حلّ هذه الميليشيات وإعادة ضمّها إلى الجيش النظامي مرة أخرى؛ فبعد تدخلها في سورية عسكرياً في عام 2015 دعمت الفرقتين الخامسة والخامسة والعشرين في الجيش السوري، باعتبارهما أداة نفوذ رئيسة لها على الأرض، في مقابل المعارضة السورية من جهة، والميليشيات الإيرانية من جهة ثانية؛ ما دفع إيران إلى اختراق

55 Ellie Geranmayeh & Kadri Liik, "The New Power Couple: Russia and Iran in The Middle East," *Policy Brief*, European Council on Foreign Relations (September 2016), p. 2, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/8tfbqr>

56 Nicole Grajewski, "Friends or Frenemies? How Russia and Iran Compete and Cooperate," Foreign Policy Research Institute (March 2020), p. 15, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/fkpwzq>

57 Thomas Juneau, "Iran's Costly Intervention in Syria A Pyrrhic Victory," *Mediterranean Politics*, vol. 25, no. 1 (2020), p. 31.

58 Alexey Khlebnikov, "Russia and Syrian Military Reform: Challenges and Opportunities," Carnegie Middle East Center, 26/3/2020, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/uqfrde>

الجيش السوري وضم ميليشياتها المحلية الشيعية إليه لتكسيهم بذلك صيغة شرعية وقانونية تحميهم من الغارات الإسرائيلية والأميركية المحتملة<sup>59</sup>. ويرى بعض المحللين أن روسيا لم تتمكن من إعادة هيكلة الجيش السوري والتأثير فيه بشكل كبير، على عكس إيران التي بدا أثرها واضحاً فيه<sup>60</sup>. لكن، تشير سنوات الأزمة إلى أنه على الرغم من التنسيقات التي قامت بين كل من إيران وروسيا والجيش السوري والأجهزة الأمنية السورية ذات الصلة، وما أنتجته من علاقات، فإن القبضة الحقيقية للجيش والأجهزة هي في يد الأسد. وبيّنت الأحداث التي طرأت على المؤسسات العسكرية والأمنية السورية، سواء في احتواء ظاهرة الانشقاقات، أو الاحتواء السريع لانفجار خلية الأزمة الشهير، أو في صرف كبار المسؤولين الأمنيين من وظائفهم وإدخالهم إلى التقاعد من دون أن يصدر عن أي منهم إشارة احتجاج، قوّة هذه القبضة.

لم يقف الاختلاف بينهما عند تحديد شكل الجيش وهيكلته في سورية، بل انعكس أيضاً في تحديد كل منهما المستقبل السوري؛ فقبل حلول الانتخابات الرئاسية السورية في عام 2021، طغت الرؤية الأيديولوجية والمذهبية الشيعية لإيران على تحديد تصوّرها لهذا المستقبل، بأن عبّرت عن رغبتها في استمرار حكم الأسد ونظامه في سورية، الذي اعتبرته أمراً ضرورياً يحمي وجودها الجيوسياسي في المنطقة ضمن سياق مشروعها «الهلل الشيعي»، المتمثل بوجود ميليشياتها الشيعية في كل من العراق وسورية ولبنان، حتى وإن كانت الاختلافات بين الإمامية الشيعية والعلوية واضحة وعقائدية. أما روسيا فكان لها تصور مغاير؛ إذ طغت عليها الرؤية البراغماتية في تحديد مستقبل سورية ودور النظام والأسد فيه، انطلاقاً من رغبتها في التعامل مع دولة مؤسسات موحّدة مستقلة، علمانية وذات سيادة تتساوى في إطارها الطوائف السورية كلها<sup>61</sup>، وعدم ممانعتها اتباع خريطة الطريق السياسية التي اتفقت عليها مع الولايات المتحدة في 10 أيلول/ سبتمبر 2016، القاضية بالضغط على الأسد ليتخلى عن العنف ويعود إلى طاولة المفاوضات، واعتبار الانتقال السياسي الحل الوحيد لإنهاء الحرب<sup>62</sup>، الذي جاء بعد قرار مجلس الأمن رقم 2254 في 18 كانون الأول/ ديسمبر 2015<sup>63</sup> وتأكيد موسكو ضرورة قيام ذلك بشروطها الخاصة، بما يضمن وجود نظام حاكم مستعد للحكم ويحترم مصالحها في سورية<sup>64</sup>. فكان ذلك سبباً في بروز توتر بينهما، ترافق مع تخوّف إيراني من إمكان تخليّ روسيا عن الأسد، بعد أن بدأ الأخير يستعيد قوته وهيمنته في سورية، وتحولها بشكل استباقي من العمل العسكري في سورية إلى العمل السياسي، خصوصاً أنها قد أعلنت عن رغبتها في سحب قواتها العسكرية من سورية في آذار/ مارس 2016، وقامت بإطلاع الجانب الإيراني على شروط ذلك الانسحاب الذي لم يحدث، وكان إشارة من روسيا إلى الأسد فحسب، بأن وجودها الحالي في سورية ظرفي وليس دائماً، في محاولة منها للضغط عليه، وإشارة إلى الغرب بأنها ليست متحكّمة في مصير الأسد وبقائه<sup>65</sup>.

من أبرز تجلّيات المذاوف الإيرانية بشأن دورها في سورية، كان ما حدث خلال مفاوضات أستانة، إذ عبّرت إيران في البداية عن استيائها المتكرر من كون الولايات المتحدة طرفاً في المفاوضات، وجاء هذا الموقف في سياق خشيتها من قيام تنسيق ثلاثي روسي - تركي - أميركي وإبعادها من المحادثات<sup>66</sup>، وكذلك غيابها

59 Navvar Saban, "Fact Box: Iranian Influence and Presence in Syria," *Atlantic Council*, 5/11/2020, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/okanzm>

60 Abdullah Al-Ghadawi, "Russia's Failed Efforts to Restructure Syrian Army," *MEI*, 20, 20/7/2021, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/exjnu0>

61 القرني، ص 31.

62 "أبرز نقاط الاتفاق الروسي الأمريكي بشأن سوريا"، *الجزيرة نت*، 2016/9/10، شوهد في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/stn594>

63 يناشد القرار بدء محادثات سلام بين الأطراف المتنازعة وبحث سبل إقامة حكومة انتقالية وإجراء انتخابات نزيهة بإشراف أممي في سورية. للاطلاع على تفاصيل القرار، ينظر:

United Nations, Security Council, "Resolution 2254 (2015)," Adopted by the Security Council at its 7588th meeting, on 18 December 2015, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/wjwfq8>

64 Geranmayeh & Liik, p. 4.

65 *Ibid.*, pp. 4 - 5.

66 محجوب الزويري، "مسارات مختلفة.. أستانا وتأزيم العلاقات الروسية - الإيرانية"، *الوطن*، 2017/1/25، شوهد في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/80wutj>

عن المحادثات التي جرت في الدوحة بين تركيا وروسيا في شباط/فبراير<sup>67</sup>. لكن ذلك لم يستمر؛ إذ عادت إيران طرفاً رئيساً في المحادثات في 8 تموز/يوليو 2021، وأشار مساعد وزير خارجيتها علي أصغر خاجي إلى وجود «تعاون وثيق بين إيران وروسيا حول سورية»، وأن «كل وجهات نظرنا وآرائنا مع روسيا بشأن سورية مشتركة»، حتى وإن اختلفت، و«نحن الدول الثلاث نعمل سوياً»<sup>68</sup>، في إشارة منه إلى أن غياب إيران السابق عن المحادثات لا يعني إبعادها، وأنها ما زالت طرفاً فيها، وتأكيداً بإمكان حدوث مشاورات ثنائية مستقبلاً. ومن ثم، يبرز الإصرار الإيراني والروسي على تجاوز الخلافات بينهما وإبقاء التعاون قائماً في بحث حلٍّ أمثل للمسألة السورية.

عملت إيران على تعزيز وجودها العسكري في سورية، بأن أسست لنفسها مجموعة مراكز استخبارات وقواعد عسكرية مستأجرة أو مُنشأة في الأراضي السورية<sup>69</sup>، متجاهلة أنها غير شرعية ولم تحظ بقبول رسمي من السلطات السورية حتى وإن تغاضت الأخيرة عن وجودها في بعض الأحيان. وأبدت إيران رغبتها، مرات عدة، في الحصول على قاعدة عسكرية بحرية في سورية<sup>70</sup>، لكن الأسد في إطار مناورته بين الحليفين، فضل منح روسيا مراكز استراتيجية في سورية، كمنحها قاعدة حميميم الجوية واستئجار قاعدة طرطوس البحرية، واتفاقاً يضمن بقاء 11 سفينة روسية فيها مدة سبعة أعوام، مع استغلال روسيا ميناء طرطوس التجاري مدة خمس وأربعين سنة وحرية التصرف في حوضه<sup>71</sup>، في حين رفض منح إيران أي قاعدة عسكرية بحرية في سورية<sup>72</sup>.

يتبين لنا أن الأسد في هذه النقطة فضل العلاقة الاستراتيجية مع روسيا على إيران، أو أنه يدرك الاختراق الإيراني للمناطق السورية والأجهزة الأمنية عبر ميليشياتها والآخر السلبي الذي قد ينعكس على سيادة سورية ومستقبل نظام حكمه. أضف إلى ذلك أن الأسد يشعر بأن إيران في حاجة إليه أكثر من حاجته إليها، بسبب حرصها على بناء الحزام الشيعي المتصل، ومن ثم، فإن تحالفها معه مضمون، بينما يريد أن يرسل تلميحات إلى روسيا، يبدد فيها الشكوك الروسية السابقة في سياسته، واستياءها من أنه لم يلجأ إليها إلا بعد أن سدّ الغرب أبوابه أمامه، بأنه قد غدا حليفاً استراتيجياً لها، يحترم مصالحها ويُقرّ بها.

في إطار بروز تنافس اقتصادي بين روسيا وإيران حول اختراق الاقتصاد السوري وإنشاء استثمارات لهما في السوق، سواء في قطاع الطاقة أو الزراعة والسياحة أو القطاع الأمني، ضمن رغبة كل منهما في ترسيخ وجوده في سورية<sup>73</sup>، ظهر تفضيل الأسد روسيا على إيران، حيث منح الأولى امتيازات عدة في قطاع الطاقة، متمثلة في سحبه امتياز استثمار مناجم الفوسفات في خنيفيس الذي كان قد مُنح لإيران أولاً في عام 2017<sup>74</sup>، ومنحه لشركة Stroytransgaz التي تعتبر ثاني أكبر شركة مقاولات روسية<sup>75</sup>، وجاء في سياق منحه إياها حق استكشاف النفط والغاز واستثماره في سورية عموماً، وفي المياه السورية خصوصاً، محاولة منه لإغراء روسيا وشركاتها بكون حقول الغاز المتوسط التي تخص سورية لم يتم استكشافها بعد، وتحفيزها على

67 رامي الشاعر، "تباين في مواقف أستانا وأزمة المعارضة"، روسيا اليوم، 2020/10/24، شوهد في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/jqcg0>

68 "خاجي: وجهتنا النظر الإيرانية والروسية قد تختلفان والقرار للشعب السوري والحكومة"، سبوتنيك عربي، 2021/7/8، شوهد في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/ie5wzl>

69 Uskowi, p. 2.

70 Yoel Guzansky, "Iran's Growing Naval Ambitions Why It Wants Naval Bases in Syria and Yemen," *Foreign Affairs* (January 2017), accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/11rp9u>

71 "الأسد يوافق على مشروع روسيا الاقتصادي ويعمق الارتهان لموسكو"، نافذة العرب، 2020/10/6، شوهد في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/hx18po>

72 Jay Mens, "Footing the Bill: Russian and Iranian Investment and American Withdrawal in Syria," *JEMEA*, vol. 1 (Winter 2019), p. 80, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/e6lzob>

73 Sinan Hatahet, "Russia and Iran: Economic Influence in Syria," Chatham House, The Royal Institute of International Affairs (March 2019), p. 10, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/1uwf43>

74 Mens, p. 83.

75 Igor A. Matveev, "Russian-Syrian Business Cooperation: Challenges and Prospects," Geneva Center for Security Policy (December 2019), p. 4, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/57bu6c>

قبول طلبه بالتدخل عسكرياً بعد أن كانت تلك الشركات غير مهتمة بإقامة أي علاقات اقتصادية مع سورية، مستغلاً (الأسد) في ذلك فرصة وجود مخزون غازي ونفطي كبير في هذه المياه<sup>76</sup>، أسوة بالمناطق الأخرى في الحوض الشرقي للمتوسط. وهذا كله من نوع الامتيازات الاقتصادية الاستراتيجية الأعلى من الامتيازات التجارية الصرفة. وإذا ما صحت تقديرات وجود هذا المخزون، فإنه سيكون في إمكان سورية بعد نهاية الحرب، أن تغدو ذات دور غازي، مستثمرة موقعها الاستراتيجي في خط الغاز العربي في منطقة يعمل فيها العديد من الدول على تنظيم التنافس الإقليمي حول المكتشفات الغازية والنفطية الجديدة، حتى وإن لم تصبح عضواً في منظمة دول غاز شرق المتوسط التي أُعلن عن تأسيسها في القاهرة في 22 أيلول/ سبتمبر 2020 بين كل من مصر وإسرائيل والأردن والسلطة الفلسطينية وقبرص واليونان وإيطاليا<sup>77</sup>. وتسمح الامتيازات التي حصلت عليها روسيا في هذا المجال للشركات الروسية المستكشفة والمستثمرة بأن تغدو لاعباً قوياً ومؤثراً في هذه المنظمة، لا سيما أن ترخيص الأسد هذا يمكن هذه الشركات من الحصول مستقبلاً على الحصة الأكبر من أرباح الغاز والنفط في سورية<sup>78</sup>.

لعل ميل الأسد الواضح إلى روسيا، بدلاً من إيران، دفع الروس إلى إقامة علاقات تجارية واقتصادية جيدة مع رجال الأعمال السوريين الذين لهم علاقة بالسلطة<sup>79</sup>. مع ذلك، عمل الأسد على إرضاء إيران بأن منحها في عام 2017 امتياز بناء مصفاة لتكرير النفط في حمص، بالتعاون مع شركة فنزويلية<sup>80</sup>، تعويضاً لها عن دعمها النفطي المباشر للنظام. ومن هنا، كان الأسد يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق غاية أمنية استراتيجية محددة لاستمرار نظامه. وكان قد منح إيران امتياز الاتصالات الداخلية في عام 2014<sup>81</sup>؛ إذ استفاد الأسد منها أمنياً بغية إحكام الرقابة على ما يجري في سورية في ظل ضعف شبكات الرقابة السورية المتعلقة بالاتصالات. واستفاد منه أيضاً في سياق التعاون الأمني الاستخباري الذي نشأ بينه وبين روسيا وإيران والعراق في مكافحة تمدد تنظيم داعش في العراق وسورية<sup>82</sup>.

نشأ في هذا الإطار تنافس إيراني روسي حول مد النفوذ إلى المدن السورية الكبرى، نتج منه حدوث تصادم بينهما في أكثر من مكان، مثل التصادم الذي حدث في حلب ومطارها بين الميليشيات الإيرانية التابعة للحرس الثوري وقوات الشرطة الروسية في عام 2019، لكن روسيا احتوته بأن سحبت قواتها الشرطة من حلب في محاولة منها لتفادي الصدام والتصعيد مع الميليشيات الإيرانية وميليشيات النظام<sup>83</sup>.

استغلت روسيا وإيران تردّي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في سورية، فاستقطبتا عدداً من الشباب السوريين لينضموا إلى شركات أمنية محلية حديثة العهد، عملت كل منهما على إنشائها بشكل قانوني<sup>84</sup>.

76 قيلان، "اكتشافات الغاز الطبيعي"، ص 101.

77 محمود عبده، "منظمة غاز المتوسط" تنطلق رسمياً من القاهرة"، اندبندنت عربية، 2020/9/22، شوهده في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/mvw4nx>

78 فادي مغيزل، الملبسات القانونية في إنتاج الغاز اللبناني في الغاز القاري اللبناني من النزاعات إلى وضع السياسات الجوانب القانونية والسياسية والاقتصادية (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 43.

79 Duclos, p. 4.

80 Mens, p. 78.

81 Hatahet, p. 11.

82 Stephan Kalin, "Iraq Says Russia, Iran, Syria Cooperating on Security Issues in Baghdad," *Reuters*, 27/9/2015, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/f03aaj>

83 Al-Ghadawi.

84 Mohammed Harden, "Russia, Iran Compete for Influence in Syria via Security Companies," *AL-Monitor*, 4/2/2021, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/u1d5wh>.

استناداً إلى المرسوم التشريعي رقم 55، الصادر في عام 2013 الذي يسمح بـ «منح الترخيص لشركات خدمات الحماية والحراسة الخاصة»<sup>85</sup>؛ إذ استفادت إيران من علاقاتها الجيدة بشعبة الاستخبارات العسكرية السورية، وبقائد الفرقة الرابعة ماهر الأسد، حيث عملت على إنشاء عدد من الشركات الأمنية للحراسة والحماية، وظفت فيها مجموعة من الشباب السوريين، بمن فيهم أفراد عائلات من قتلوا في أثناء قتالهم إلى جانب الجيش النظامي السوري، وكذلك أعضاء الميليشيات السابقة التي حلّتها روسيا في عام 2017<sup>86</sup>، مثل ميليشيات سرايا العرين التي تحوّلت إلى شركة أمنية خاصة، وأصبحت تُعرف باسم شركة العرين لخدمات الحماية. مع ذلك، فإن مركزية القرار السوري، سواء في الجيش أو في الأجهزة الأمنية الأخرى، بقيت في يد الأسد. وتمكّنت إيران عبر ذلك من ضم الميليشيات الموالية لها التي حلّتها روسيا إلى شركات صُنّفت أنها خلف لميليشياتها، ووجدت دعماً من شعبة الاستخبارات العسكرية، مثل شركة العرين وشركة الفجر للحماية، بينما حُصّ بعض هذه الشركات للعمل إلى جانب الفرقة الرابعة، مثل شركة القلعة للخدمات الأمنية وشركة أليب للاستشارات والحلول التقنية وشركة المهام للحماية والحراسة الشخصية التي أوكلت إليها حماية المنظمات الدولية والبنوك والسفارات والبعثات الدبلوماسية والوفود السياحية من الحجاج الشيعة، وتمركزت كلها في مواقع استراتيجية في محافظتي حلب ودمشق. ولقد حصلت الشركات الأمنية التابعة لإيران والفرقة الرابعة، على ترخيص من الدرجة الأولى يسمح لها بتجنيد ما لا يقل عن 801 حارس/ مجند، وهي نفسها الشركات المتحكمة في مواقع عبور شبكات التهريب مع لبنان والعراق، والمتحكمة في المعابر الرابطة بين مناطق النظام ومنطقة قوات سوريا الديمقراطية «قسد»<sup>87</sup>.

أما روسيا فاستغلت وجود قواتها العسكرية في مدينة اللاذقية في تأسيس شركات أمنية محلية خاصة لها، بعد أن أرسلت مسبقاً إلى سورية نحو تسع شركات من أجل دعم الجيش السوري في العمليات القتالية<sup>88</sup>، وتميزت بأنها شركات أمنية قتالية - عسكرية، وعملت معها على إيجاد شركات أمنية محلية، مثل شركتي سند والوطنية، وشركة «صيادو داعش» ISIS Hunters المنشأة في عام 2017 والمتركة في البادية السورية ودير الزور. وأوكلت مهمات تدريب هذه الشركات إلى قوات فاغنر ChVK Wagner المعروفة بمهاراتها القتالية الموازية لقوات سبيتناز Spetsnaz الروسية الخاصة، التي استعانت بها روسيا سابقاً خلال عملياتها القتالية في سورية للحدّ من الخسائر العسكرية، والدفع بالأولويات الاقتصادية الاستراتيجية عبر التقدم في الأراضي الغنية بحقول النفط والغاز والفوسفات والعمل على استعادتها وتأمينها<sup>89</sup>. وكانت المهمات الرئيسية التي دُرّب عليها مجندو شركة «صيادو داعش»، هي نفسها الموكلة سابقاً إلى قوات فاغنر، وأضيفت إليها مهمة استعادة المنشآت العسكرية وتأمينها، مثل مخازن الأسلحة ومطار التيفور العسكري T-4 Military Airport<sup>90</sup>. ونظراً إلى أن روسيا معروفة بخبرتها في استخدامها شركاتها الأمنية الخاصة في الدول الهشة لتعزيز وجودها ونفوذها الخارجي وحماية استثماراتها في هذه الدول<sup>91</sup>، فقد عملت على إشراك هؤلاء المجندين الجدد في

85 الجمهورية العربية السورية، مجلس الشعب، "المرسوم التشريعي 55 لعام 2013، منح الترخيص لشركات خدمات الحماية والحراسة الخاصة"، 2013/8/5، شوهد في 2021/9/19، في: <https://rb.gy/pp91nr>

86 Manhal Baresh, "Private Security Companies in Syria: New Agents at the Regime's Service," European University Institute, 10/9/2020, p. 8, accessed on 15/8/2021, at: <https://rb.gy/6u8wth>

87 Ibid., pp. 9 - 16.

88 ينظر الجدول (2) في:

Thomas D. Arnold, "The Geoeconomic Dimensions of Russian Private Military and Security Companies," *Military Review* (November-December 2019), p. 11, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/ffottq>.

89 Johns et al., pp. 33, 36 - 37.

90 "Profiling Top Private Security Companies in Syria," *Reports*, Omran for Strategic Studies, 11/2/2019, accessed on 19/9/2021, at: <https://bit.ly/3i5WN0X>

91 Arnold, p. 12.

العمليات القتالية التي حدثت ضد تنظيم الدولة<sup>92</sup>، وأخذ معظم شركاتها المحلية في سورية شكلاً عسكرياً قتالياً، على عكس الشركات الأمنية الإيرانية التي أخذت بعداً اقتصادياً وأمنياً. لكن اللافت في كلتا الحالتين، أن مواقع تمركز الشركات الإيرانية الأمنية تختلف عن مواقع تمركز الشركات الروسية، والمهمات التي أوكلت إلى الشركات الإيرانية تختلف في نوعيتها عن تلك التي أوكلت إلى الروسية، وهو ما يطرح إمكان وجود تنسيق مسبق بين الطرفين وتوزيع للأدوار، لتفادي حدوث أي احتكاك أو تصادم بينها، منعاً لتكرار تجربة تصادمها في حلب، ويعكس أيضاً رغبة كل منهما في الحفاظ على علاقات جيدة بينهما بغض النظر عن الخلافات.

## خاتمة

خضعت العلاقات الإيرانية - الروسية على مدى سنوات، لضغوط تاريخية ودولية، راوحت مؤشراتهما بين صعود وهبوط، إلى حين وصول فلاديمير بوتين مرة أخرى إلى سدة الحكم في روسيا ووقوع الأزمة السورية التي شكلت، في مرحلة عودة بوتين، نقطة مفصلية في تاريخ هذه العلاقات، فزاد التعاون الأمني والدفاعي الإقليمي بينهما، خصوصاً أن لإيران مكانة مهمة في تحقيق رؤية روسيا الإقليمية الجديدة «الأوراسية»<sup>93</sup>. وتعمق هذا التعاون خلال الأزمة السورية على الرغم من الاختلافات بين الطرفين، لتبرز معه رغبتهما في الحفاظ على هذه العلاقة وتعميقها. مع ذلك، بقيت العلاقة بينهما تأخذ شكل «اتفاق براغماتي» أكثر منه شكل «تحالف استراتيجي»<sup>94</sup>. لكن ذلك لم يمنعهما من إجراء العديد من المناقشات وعقد المؤتمرات التي تناولت إمكان نشوء علاقة استراتيجية. وفي هذا السياق، وتعبيراً عن هذا التوجه، أصرت روسيا وبشكل متكرر على رفضها الاتهامات الأميركية والإسرائيلية لإيران بأنها مصدر خطر على المنطقة ودانئها، وصرحت بأن العلاقة بينها وبين إيران «متعددة الأوجه ومتعددة الأطراف»<sup>95</sup>، مع توافر احتمالات تخطيها المنافسة بينهما في سورية. بناء عليه، فإن مستقبل العلاقة بين روسيا وإيران في سورية يمكن تخيله نموذجاً من التنافس والتعاون<sup>96</sup>؛ فهي علاقة أعلى من براغماتية وأقل من استراتيجية. ومثل انخراطهما في الأزمة السورية مختبراً لذلك النموذج.

92 Baresh, p. 17.

93 Vladimir Sazhin & Jahangir Karami, "Iran-Russia Strategic Partnership at the New Stage: What Could We Propose to Each Other?" in: "Russia-Iran Partnership: An Overview and Prospects for the Future," *Russian International Affairs Council* (2016), p. 16, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/ffbzmi>

94 John W. Parker, "Between Russia and Iran: Room to Pursue American Interests in Syria," *Strategic Perspectives* 27, Institute for National Strategic Studies (January 2019), p. 10, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/zc4zpc>

95 Seth G. Jones, Nicholas Harrington & Joseph S. Bermudes Jr, "Dangerous Liaisons: Russian Cooperation with Iran in Syria," *CSIS Briefs* (July 2019), p. 1, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/elsm4w>.

96 Leonid Jsaev & Hamidreza Azizi, "Russian – Iranian Economic Interest in Syria (part 2)," *Asia and Africa Today*, no. 9 (2019), p. 16, accessed on 19/9/2021, at: <https://rb.gy/iljstu>

## المراجع

### العربية

- الجمهورية العربية السورية. مجلس الشعب. «المرسوم التشريعي رقم 55 لعام 2013، القاضي بمنح الترخيص لشركات خدمات الحماية والحراسة الخاصة». 2013/8/5. في: <https://rb.gy/pp91nr>
- **استشراف للدراسات المستقبلية.** الكتاب الثالث. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
- علي، آزاد أحمد [وآخرون]. **خلفيات الثورة دراسات سورية.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.
- القرني، أحمد بن ضيف الله. «آفاق التخادم الاستراتيجي الروسي-الإيراني في سوريا». المعهد الدولي للدراسات الإيرانية. 2020/6/18. في: <https://rb.gy/h0naww>
- الكوخي، محمد. **الأزمة الأوكرانية وصراع الشرق والغرب جذور المسألة ومآلاتها.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.
- مغيزل، فادي. **الملايسات القانونية في إنتاج الغاز اللبناني في الغاز القاري اللبناني من النزاعات إلى وضع السياسات الجوانب القانونية والسياسية والاقتصادية.** الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

### الأجنبية

- Al Zubaidi, Nawak Kashish. "Russian – Iranian Relations in the Safavid and Qajar Era: A Historical Study." *International Journal of Innovation, Creativity and Change*. vol. 18, no. 10 (2019). at: <https://rb.gy/pspzak>
- Al-Ghadawi, Abdullah. "Russia's Failed Efforts to Restructure Syrian Army." *MEI*. 20. 2020/7/. at: <https://rb.gy/exjnu0>
- Ali, Mehrunnisa. "Iran's Relations with the US And USSR." *Pakistan Horizon*. vol. 26, no. 3 (Third Quarter 1973). at: <https://Rb.Gy/Hvslns>
- Aliriza Bulent, Jon B. Alterman & Andrew C. Kuchins. "The Turkey, Russia, Iran Nexus Driving Forces and Strategies." Center for Strategic & International Studies (March 2013). at: <https://rb.gy/j1xp2p>
- al-Sa'eed Idris, Mohammad. "Alliance of Necessity between Iran and Russia Dialectical Interaction between Opportunities and Challenges." *Journal for Iranian Studies* (June 2017). at: <https://rb.gy/4kxazx>



- Arnold, Thomas D. "The Geoeconomic Dimensions of Russian Private Military and Security Companies." *Military Review* (November-December 2019), at: <https://rb.gy/ffottq>
- Baresh, Manhal. "Private Security Companies in Syria: New Agents at the Regime's Service." European University Institute. 102020/9/. at: <https://rb.gy/6u8wth>
- Belobrov, Y.Y. & S.V. Demidenko. "Modern Russian Iranian Relations: Challenges and Opportunities." *Working Paper*. Russian International Affairs Council (2014). at: <https://rb.gy/nrae5d>
- Borshchevskaya, Anna. "Russia in Middle East: Motives, Consequences, Prospects." Washington Institute for Near East Studies. 262016/2/. at: <https://rb.gy/rjcymx>
- Brun, Itai & Amos Yaldin. "Updated Strategic Assessment for Israel for 2020 and Recommendation for the New Government." *INSS* (May 2020). at: <https://rb.gy/yxhcvj>
- Chauhan, Tanvi. "Why Are Warm-Water Ports Important to Russian Security? The Cases of Sevastopol and Tartus Compared." *Journal of European, Middle Eastern & African Affairs*. vol. 2 (Spring 2020). at: <https://rb.gy/mdtmpz>
- Council of Foreign Relations. *U.S. Relations with Iran 1953-2021: Onetime allies, the United States and Iran have seen Tensions Escalate Repeatedly in the four Decades since the Islamic Revolution*. at: <https://rb.gy/knxu24>
- Driving Forces and Strategies." Center for Strategic & International Studies (March 2013). at: <https://rb.gy/j1xp2p>
- Duclos, Michel. "Russia and Iran in Syria- a Random Partnership or Enduring Alliance?" *An Interim Report*. Atlantic Council Rafik Hariri Center for Middle East. (June 2019). at: <https://rb.gy/uwksik>
- Ferziger, Jonathan H. & Gawdat Bahgat. "Israel's Growing Ties with The Gulf Arab States." *Atlantic Council* (July 2020). at: <https://rb.gy/yjb3qj>
- Geranmayeh, Ellie & Kadri Liik. "The New Power Couple: Russia and Iran in The Middle East." *Policy Brief*. European Council on Foreign Relations (September 2016). at: <https://rb.gy/8tfbqr>
- Grajewski, Nicole. "Friends or Frenemies? How Russia and Iran Compete and Cooperate." Foreign Policy Research Institute (March 2020). at: <https://rb.gy/fkpzww>
- Guzansky, Yoel. "Iran's Growing Naval Ambitions Why It Wants Naval Bases in Syria and Yemen." *Foreign Affairs* (January 2017). at: <https://rb.gy/11rp9u>





- Hanauar, Larry. "Israel's Interest and Options in Syria." Rand Corporation (2016). at: <https://rb.gy/fcd13k>
- Hatahet, Sinan. "Russia and Iran: Economic Influence in Syria." Chatham House, The Royal Institute of International Affairs (March 2019). at: <https://rb.gy/1uwf43>
- Johns, Seth G. et al. "Russia Corporate Soldiers the Global Expansion of Russia's Private Military Companies." Central for Strategic International Studies (July 2021). at: <https://rb.gy/ygvmmi>
- Jones, Seth G, Nicholas Harrington & Joseph S. Bermudes Jr. "Dangerous Liaisons: Russian Cooperation with Iran in Syria." *CSIS Briefs* (July 2019). at: <https://rb.gy/elsm4w>.
- Jones, Seth G. "Russian Goals and Strategy in Moscow's War in Syria." Center for Strategic & International Studies (May 2020). at: <https://rb.gy/onbhhs>
- Jsaev, Leonid & Hamidreza Azizi. "Russian – Iranian Economic Interest in Syria (part 2)." *Asia and Africa Today*. no. 9 (2019). at: <https://rb.gy/iljstu>
- Juneau, Thomas. "Iran's Costly Intervention in Syria A pyrrhic Victory." *Mediterranean Politics*. vol. 25, no. 1 (2020).
- Khlebnikov, Alexey. "Russia and Syrian Military Reform: Challenges and Opportunities." Carnegie Middle East Center. 262020/3/. at: <https://rb.gy/uqfrde>
- Koolae, Elaheh, Hamed Mousavi & Afifeh Abedi. "Fluctuations in Iran-Russia Relations During the Past Four Decades." *Iran and the Caucasus* (2020). at: <https://rb.gy/ok69tk>
- Kozhanov, Nikolay. "Understanding the Revitalization of Russian-Iranian Relations." Carnegie Moscow Center (May 2015). at: <https://rb.gy/sd3zhw>
- Lo, Bobo. "Greater Eurasia the Emperor's New Cloths or Idea whose Time Has Come?" *Russia. Nei. Reports*. no. 27. IFRI (July 2019). at: <https://rb.gy/dioe7s>.
- Ma'oz, Moshe. "The 'SHI'I CRESCENT': Myth and Reality." The Saban Center for Middle East Policy at the Brookings Institution (November 2007). at: <https://rb.gy/kos2jo>
- Marshall, Shana. "The Egyptian Armed Forces and the Remaking of an Economic Empire." Carnegie Middle East Center (April 2015). at: <https://rb.gy/kdxst5>
- Matveev, Igor A. "Russian-Syrian Business Cooperation: Challenges and Prospects." Geneva Center for Security Policy (December 2019). at: <https://rb.gy/57bu6c>
- Mens, Jay. "Footing the Bill: Russian and Iranian Investment and American Withdrawal in Syria." *JEMEA*. vol. 1 (Winter 2019). at: <https://rb.gy/e6lzob>
- Obama, Barak. *A Promised Land*. New York: Crown, 2020.



- Parker, John W. "Between Russia and Iran: Room to Pursue American Interests in Syria." *Strategic Perspectives* 27. Institute for National Strategic Studies (January 2019). at: <https://rb.gy/zc4zpc>
- Parker, John W. "Russia-Iran: Strategic Partners or Competitors?" *Working Paper*. The James A. Baker III Institute for Public Policy of Rice University (2016). at: <https://rb.gy/wbnlfn>
- Samoudi, Alireza & Amirhossein Norouzi Shahtouri. "Iran-Russia Military and Security Relations after the JCPOA." *Journal of Iran and Central Eurasia Studies*. vo. 1, no. 1 (Spring 2018). at: <https://rb.gy/8yt8wu>
- Sladden, James et al. "Russian Strategy in the Middle East." Rand Corporation (2017). at: <https://rb.gy/i0gejy>
- Tabrizi, Aniseh Bassiri & Raffaello Pantucci (eds.). *Understanding Iran's Role in the Syrian Conflict*. Washington: RUSI, 2016.
- Tarock, Adam. "Iran and Russia in 'strategic alliance'." *Third world Quarterly*. vol. 18, no. 2 (1997). at: <https://rb.gy/mdvzjm>
- Taylor, Brian D. *The Code of Putinism*. New York: Oxford University Press, 2018.
- United Nations. Security Council. "Resolution 2254 (2015)." Adopted by the Security Council at its 7588th meeting, on 18 December 2015. at: <https://rb.gy/wjwfq8>
- Uskowi, Nader. "The Evolving Iranian Strategy in Syria: A Looming Conflict with Israel." *Issue Brief*. Atlantic Council (September 2018). at: <https://rb.gy/uqiu3f>